الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

–مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

مكونات الخطاب الرحلي في رواية جزائري في الأندلس

لـ: سفيان مقنين

إعداد الطالبتين:

- صابرين حري
- مليكة بن ذهيبة

إشراف الاستاذ:

أ.محمد مزيلط

لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الرتبة	الصفة
د. أحمد بوزيان	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. مصطفى مرضي	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا
أ. محمدمزيلط	أستاذ مساعد	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية:

1441هـ–1442 هـ

2019 م–2020 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون –تيارت–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

–مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

مكونات الخطاب الرحلي في رواية جزائري في الأندلس

لـ: سفيان مقنين

إعداد الطالبتين:

- صابرين حري
- مليكة بن ذهيبة

إشراف الاستاذ:

أ. محمد مزيلط

لجنة المناقشة

اللقب والاسم	الرتبة	الصفة
د. أحمد بوزيان	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. مصطفى مرضي	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا
أ. محمد مزيلط	أستاذ مساعد	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية:

1441هـ–1442 هـ

2019 م–2020 م

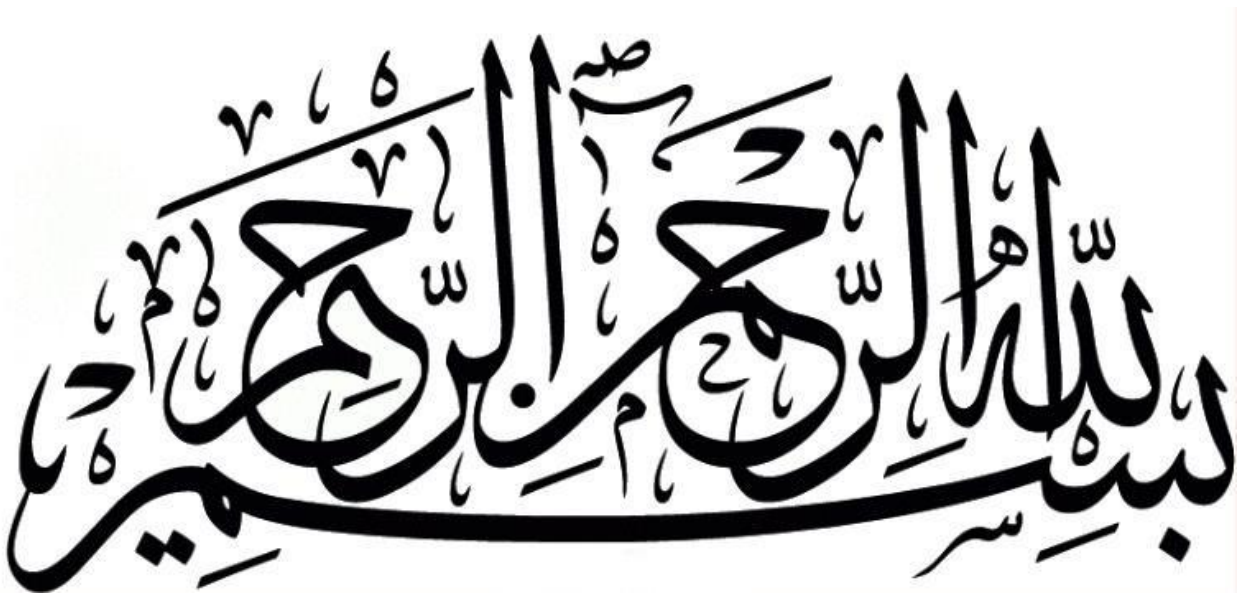
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

"كن عالما ...فإن لم تستطع فكن متعلما

فإن لم تستطع فأحب العلماء

فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

الحمد لله الذي أنارلنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجازهذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكروالامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أومن بعيد على انجازهذا العمل،

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بأسمى عبارات الشكروالتقديروالاحترام للأستاذ الفاضل "محمد مزيلط" الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا العمل منا خالص التقديروالاحترام.

كما نتقدم بشكر الجزيل للسادة أعضاء لجنة المناقشة وحرصهم على تقيم هذا العمل

وفي الأخير نسأل الله العظيم أن يجزي الجميع عنا خير الجزاء

مقدمة

يشكل أدب الرحلات رافدا من روافد الأدب لما يحتويه من معلومات وحقائق بليغة من مشاهدات حية والتصوير المباشر وإصدار أحكام تقويمية لما تشاهده، الذي يعد مصدرا هاما للأدب والتاريخ والسياسية ويختلف من دارس لآخر حسب المضمون الرحلة وسماتها الفنية فهذا الجنس الأدبي وجد من الجاهلية وظهر ذلك في معارفهم ثم تطور ليصبح عربيا أصيلا.

ولعل هذا ما جعل تسميات أدب الرحلة تختلف وتعدد منها الأدب الجغرافي الاستكشافي، الإسفنجي، وأدب الشتات بسبب عدم توثيق الرحالة لرحلاتهم والتي عدت سمعية أو أصبحت تتمني للقصص، لذا ارتأينا الخوض في هذا الموضوع والغوص في أعماق بعض النصوص الرحلية لمحاولة كشف خباياها، ومن هنا جاء موضوع بحثنا موسوما بمكونات الخطاب الرحلي لرواية جزائري في الأندلس "لسفيان مقنين".

ولم يكن اختيارنا وليد صدفة بل نتيجة تظافر مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية أما الذاتية تتخلص في ميلنا واهتمامنا بالأدب الرحلي بصفة خاصة أما الموضوعية تتمثل في كون أدب الرحلات لازال يعد فنا غائبا عن ميدان الدراسات، ولم يوله الباحثين اهتماما، ويجهله معظم الأشخاص الى غاية يومنا هذا. فقلة الدراسات في هذا المجال تشجعنا على اختيار هذا الموضوع دون غيره.

لمحاولة إبراز مدى مساهمة الروائيين الجزائريين في الأدب الرحلي ارتأينا تركيز اهتمامنا على **رواية جزائري في الأندلس**، وحاولنا إظهار مكونات الخطاب الرحلي فيه.

مما أثار فينا مجموعة من التساؤلات، ولعل أبرزها:

- ما لفرق بين أدب الرحلة والأدب الرحلي؟
- وفيما تتمثل مكونات الخطاب وخصائص الكتابة الرحلية في الرحلة؟
- وإلى أي حد استطاع "سفيان مقنين" النأي بمدونته من الكتابات الرحلية ذات الطابع الوصفي؟

وللإجابة عن هذا التساؤلات فرضت علينا الدارسة خطة بحث شملت تقسيم العمل إلى فصلين مسبوقة بمدخل ومقدمة.

أما المدخل الذي كان حول أدب الرحلة وأصل تسميته ثم تطرقنا في العنصر الأول على التحدث عن ماهية أدب الرحلة والخطاب الرحلي، وجاء في العنصر الثاني تحت عنوان مكونات الخطاب الرحلي الذي احتوى على أهم عناصر المكونات المتمثلة في الحاكي، الحكاية والذي يرتكز في المقام الأول على بنية السرد والوصف، أما الثالث فعنوناه بخصائص الكتابة الرحلية.

أما الفصل الأول أدرج بعنوان مسارات أدب الرحلة في الأدب العالمي والذي يضمن مبحثين، المبحث الأول تضمن أدب الرحلة عند العرب بشكل عام وهنا تطرقنا للحديث عن الرحلات القديمة التي تنتمي للرحلات الكلاسيكية، ثم خصصنا المبحث الثاني للحديث عن أدب الرحلة في الجزائر.

والفصل الثاني وسمناه تشكيلات الرحلة في رواية جزائري في الأندلس قراءة في الفضاء والدلالات الذي احتوى على تمهيد قصير يتحدث عن مخالفة رحلاتها للمألوف بعدم إتباع النهج الكلاسيكي لأدب الرحلة ممن سبقه أمثال "شكيب أرسلان" في رواية **الحلل السندسية في الأخبار وأثار الأندلس** ثم تطرقنا لدارسة ألية السرد في المبحث الثاني أما المبحث الثالث وسمناه بمكاشفات في عوالم الرحلة ثم اتبعنا الفصلين بخاتمة كانت حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها.

أما فيما يخص المنهج فقد استعنا بآليات المنهج التاريخي في بعض المباحث الذي يقوم على آليات الوصف والتحليل لأن الرحالة يقوم بربط ما شاهده من معالم أثرية بوقائع تاريخية من وصف لمشاهدات ومعالم تاريخية رآها في الرحلة، وهنا يستعين بآلية الوصف، وأخيرا لرصد مواقف الرحالة اتبعنا آلية التحليل.

وقد استعنا ببعض المصادر والمراجع ومن بينها كتاب (الرحلة في الأدب العربي التجنس آلية الكتابة، الخطاب المتخيل) لصاحبه شعيب خليفي والمؤلف (نسج الواقع والخيال) للكاتب شادي حكمة، وكتاب (صناعة أدب الرحلي) لابن بطوطة وكتاب (أدب الرحلة عند العرب) للكاتب "حسني محمود حسين"، ومن الصعوبات التي واجهتنا: قلة

الدراسات التي تتناول أدب الرحلة وإن وجدت تكون عبارة عن مقالات بلا توثيق، أو نسخ إلكترونية.

وفي الأخير لا يسعنا إلا التوجه إلى المولى بالدعاء أن يكون قد وفقنا ولو بالقليل في تقديمنا لهذا البحث، ونغتنم الفرصة لنشكر الأستاذ المشرف "محمد مزيلط" جزيل الشكر في إشرافه على هذا العمل، وأعاننا بتوجيهات سديدة، فإليه يرجع الفضل كله، لذا نتقدم بخالص عبارات الشكر والتقدير والاحترام.

مدخل

مدخل نظري في أدب الرحلة:

- **أولا: ماهية أدب الرحلة**
- **ثانيا: مكونات الخطاب الرحلي**
- **ثالثا: خصائص الكتابة الرحلية**

توطئة:

خلق الله الإنسان محبا للحركة مولعا بالاستكشاف، ورزقه بالعقل الذي يدفعه للتساؤل عن أصل ومنبع الأشياء، وهذا نابع عن التأمل في الوجود والبحث في علم الماورائيات مما يدفعه للتنقل من مكان لآخر، لإشباع رغبة الفضول لديه، فارتحل من مكان لآخر بغية الاستطلاع، ووثق كل رحلاته مما أوجد نصوصا أدبية تسبقه أثارت التشويق عند متلقيها.

أولا: أدب الرحلة:

1- مصطلح أدب الرحلة:

ظهرت كلمة "رحلة" مع مؤلف وصاحب تسمية " أدب الرحلة" أحمدبن جير"، ولقد ورد ذلك في مقدمة " الرحلة المغربية " للعبدري" يقول: «كلمة الرحلة ليست من ابتكار»[1]. ومن هنا فأول من سمى هذا النوع من الكتابة هو الرحالة "أحمد بن جبير" المتوفى سنة 214 هجري لذا يعتبر مؤسس فن الرحلة.

2-الرحلة لغة:

جاء في لسان العرب، لابن منظور الإفريقي في مادة رحل (ر-ح-ل) «إن الرحلة مركب للبعير والناقة وجمعه رحال، رحل البعير، يرحل، رحالا فهو مرحول ورحيل»[2].

كما جاء في معجم المقاييس اللغة لابن فارس في مادة (ر-ح-ل) رحل: «الراء الحاء اللام واحد يدل على المضي والسفر»[3]. وفي مقصد أخر نجد «ارتحل القوم عن المكان ارتحالا: بمعنى الانتقال»[4] .

1محمد العبدري، الرحلة المغربية، منشورات البونة، ط1، الجزائر2007 م، ص165.

2 جمال الدين بن هاشم بن منظور، لسان العرب، ج11، دار الصادر بيروت، م 3، 1994 م، ص276.

3 أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الجيل بيروت، م2، د ت، ص 466.

4ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ، كلية الآداب، ط1، جامعة القاهرة، 1995 م، ص23.

3-أدب الرحلة اصطلاحا:

يقصد بالرحلة في الاصطلاح الأدبي، أنها نوع من الحركة، فنجد "الإمام الغزالي" يعرف الرحلة «بأنها السفر نوع حركة او نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة»[1]، ومن هنا نرى بأن أدب الرحلة يمكن في السفر قصد الاستكشاف والانتفاع من معارف وأماكن جديدة.

يعد أدب الرحلة من الفنون الأدبية النثرية، التي لها خصوصيتها ومميزتها، إلا أنه وقع خلط كبير بين المصطلحات الأدبية في العصر الحديث، بين أدب الرحلة وما يسمى بالخطاب الرحلي، ومصطلح الأدب الجغرافي، وفي الحديث هذه المصطلحات سنتطرق إلى أوجه الاختلاف والتشابه بين المصطلحات الأدبية، والدوافع الرحالة، ودواعي التدوين لديهم.

4-الفرق بين أدب الرحلة والخطاب الرحلي وأدب الجغرافيا:

أ-أدب الرحلة:

تعددت المصطلحات المتعلقة بأدب الرحلة فنذكرها:

1_الأدب الموسوعي:

وهو "الأدب الذي يضم أكثر مضمون واحد، فهو يتناول جوانب عديدة سياسية، علمية، أدبية، اقتصادية، اجتماعية".[2]

وعلى هذا نرى بأن الأدب الموسوعي سمي بهذا لأنه جامع لعدة جوانب تدخل ضمن إطار الأدب، ونعلم أن الموسوعة تشمل وتتناول عدة أصعدة، وهي فسيفساء من العلوم.

2_الأدب الاستطلاعي:

"فهو الأدب الذي يستطيع الفنون الأدبية الأخرى، من أجل الكشف عن مواطن التشابه والاختلاف بين هذه الآداب (الرواية، القصة، المسرحية)".

1 ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري) ، ص 24.

2 المرجع نفسه، ص26.

نجد أن الأدب الاستطلاعي يهتم باكتشاف الأنواع الأدبية الأخرى ويعمل على معرفة التشابه والاختلاف بين هذه الأنواع الأدبية.

3_الأدب الإسفنجي:

إمكانية تعديل فيه «دون المساس بالمضمون (التلاعب بالمصطلحات) وبقي الأدب التاريخي والاجتماعي وغيره ...»[1].

وفي معجم المصطلحات الأدبية نجده يعرفها: على أنها «مجموعة الآثار الأدبية التي تناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادت وسلوك وأخلاق وتسجيله يكون دقيق للمناظر الطبيعية وليست منافية للواقع ونجده يبرز من اجل رحلته مرحلة بمرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد»[2].

ونفهم من هذا أن أدب الرحلة هو نتاج الانطباعات المؤلف أثناء رحلاته، وهو انعكاس لما يمر به الأديب في مراحل رحلته، وهو تجسيد الواقع الرحلة المعاش.

ب- الخطاب الرحلي:

من البديهي أن الرحلة كفعل يسبق الرحلة كخطاب، فالخطاب هو «اللفظ لفعل السفر هو يحتوي على وحدات نصية خطابية لمحطات سردية لحكاية السفر التأهب وطريق الذهاب والإياب وأخيرا الوصول»[3].

ومن هنا نجد بأن الخطاب الرحلي يجسد وقائع وأحداث الرحلة، ويدونها في شكل مسرود ويضم المتكلم، ويعد هذا الخطاب الطريقة التي تقدم بها الرحلة ويتضمن هذا الخطاب في سرد المشاهدات والأحداث الواقعة على:

1 ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 51.

2 سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، المكتبة الجامعية، ط1، الدار البيضاء، 1984 م ص07.

3 فاطمة بوطبسو، أدبية الخطاب في رحلة " نور الأندلس" الأمين الريحاني، رسالة ماجستر، (د. ب)، 2010 -2011م، ص 05 .

ب-التأهب للذهاب:

وهو استخدام النفسي والمادي أي حمل النقود وخرائط وغيرها.

2-مرحلة الانطلاق:

تحديد المكان المنشود وزمن المغادرة والوادع

3-طريقة الذهاب:

يتضمن سرد الوقائع ضمن الفضاء الزمني والمكاني والاستعداد لإكمال الرحلة.

4-مرحلة الوصول:

سرد مغامراته وهو في طريقه للمكان المرتحل إليه.

5-مرحلة العودة:

ونجدها «تحتوي المراحل السابقة في الاتجاه المعاكس»[1].

وعلى هذا فهذه المراحل التي يمر بها الخطاب الرحلي في وصفه للرحلة التي يمر بها الأديب.

ويعد خطاب الرحلة " التسمية التي أطلقها "سعيد يقطين " على المعنى الثاني لكلمة رحلة ويعرفه بأنه: «عملية تلفيظ الفعل الرحلة بينما المعنى الأول الرحلة ذاتها، ولهذا يتحدث عن الرحلة وخطابها، ويرى بأن الخطاب الرحلة يتماشى مع الرحلة وسعي لمواكبتها من البداية للنهاية»[2]، ومن هنا نرى بأن الخطاب الرحلي أشمل وأدق للوصف الأولي للكتابة الرحلية، وهذا ما ركزنا عليه الرحلة كخطاب.

1فاطمة بوطبسو، أدبية الخطاب في رحلة "تور الأندلس"، ص 6.

2خطاب الرحلة في الأدب العربي ومكوناته البنيوية، مجلة العلامات في النقد، النادي الأدبي جدة، ج9، م3، سبتمبر 1993، ص165.

ج-أدب الجغرافيا:

وفي حديثنا عن الأدب الجغرافي فإنه يقدم الأدب باعتبار الأصل ثم تأتي الجغرافيا كفرع، لذا فإنه «أدب يتناول موضوعا جغرافيا من جهة نظر أدبية تفرضها شخصية الرحال ومكوناته الثقافية»[1]،وبهذا يعد الأدب الجغرافي ومكوناته التي من الأساسيات التي تسند عليها الرحالة في إنجاز أدبه، وخطابه الرحلي.

وفي قول آخر أن: «الجغرافي أحكامه موضوعية لا تقف فيها العاطفة حاجزا بين ميولاته وما تراه عينه بعكس الرحال، الجغرافي هدفه في المقام الأول هو علمي اما الرحالة تختلف دوافعه باختلاف ذاته واحتياجاته إما تجارته، دينية، سياسية، ترفيهية ...»[2].

وعلى هذا نفهم بأن الأدب الجغرافي بينه وبين أدب الرحلة اختلاف يكمن في الهدف فالجغرافي في سعيه علمي، أما الرحلي أهدافه كثيرة على جميع الجوانب تجارية، دنية وسياسية، وترفيهية.

ونجد أنه في الرحلة يشترط أن يكون «الذي يقوم بالرحلة يكون محبا لما يقوم به فيصف انطباعا ومشاهدته في هذه الرحلة، وأن الوصف يجب أن يوزن بين شخص الرحال من ناحية، والرحلة كموضوع من ناحية أخرى دونالتركيز على طرف واحد قد يؤدي الي التردي في ترك العاطفة المسرفة، ويهدف الي التأثير في القارئ والتواصل معه حيث يستمتع بكل ما فيه وتزداد ثقافته ومعارفه بطرق مباشرة أو غير مباشرة »[3].

ومن هنا الرحلة هي ذلك النثر الذي يضف رحلة واقعية أو خيالية، قام بها رحال متميز يأخذ شروطه كتابة رحلته بعين الاعتبار هو بذلك يحقق توازنا بين ذاته ميولاته وموضوع رحلته بهدف التأثير في القارئ، كما اختلفت دواعي التدوين ودوافعه حسب كل رحال.

1ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي(حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 37.

2 المرجع نفسه، ص 56.

3المرجع نفسه، ص 40.

وللرحلة دوافع وأسباب حقيقية ارتكز عليها الرحالة وهي «تنقسم في المقام الأول الدوافع ذاتية وعامة، فالذاتية هي الأساس الذي تبنى عليه الرحلة، ثم تأتي الأسباب الظاهرية والعامة لتكون مبررا مقبولا للقيام بهذه الرحلة»[1].

لكل رحلة دوافع ذاتية أهمها الاستكشاف والاستطلاع، ومن أهم هذه الدوافع نجد كذلك ما يعرف بدوافع الدينية، فيقول "محمد محمدي فهيم" في هذه الدوافع، «إن الحجاج كانوا يجتمعون في قوافل تبدأ صغيرة ثم تنمو كلما تقدم بها الطريق مما ينضم إليها من وفود حتى تصبح في نهاية للعراق حجيجه وللشام حجيجه ولإفريقيا حاجها وتسير القافلة في ألفة ونظام وتعاطف شامل يحميها جنود الحكام ويرحب بها سكان المدن والقرى ورجال الدين»[2]،نستنتج من هذ القول أنه كان للحكام دورا جد فعال في حماية الحجاج وتسهيل الطرق لأداء فريضة الحج، والرجوع لبلدانهم في أمان، فالدافع الأساسي من الحج هو اشتياق الحاج لزيارة بيت الله الحرام .

بالإضافة الى الدوافع الدينية، نتحدث عن الدوافع العلمية او التعلمية للرحالة، فنجد أنه حين « ينتقل الرحالة من منطقة لأخرى بغرض التعلم من الأماكن التي ذاع صيتها مجال العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، ولقد كان بعض الفقهاء والعلماء يقطعون الأنهار والقفار للتأكد من حديث سمعوا به أو لمجرد التحقق من كلمة فيه»[3]. ومن هنا نرى بأن دافع العلم التعلم وحب الاطلاع على العلوم الأخرى، وحب المعرفة، يجعل من الرحالة يسير في طريق الجهاد في سبيل العلم.

أما فيما يخص الدافع الاقتصادي فحديثنا عن التجارة فيعد هذا « من أهم الدوافع التي كانت تدفع بالرحالة الى تدوين رحلته حتى يعين القارئ على معرفة الطرق التجارية البرية والبحرية»[4]، نرى بأن الدافع الاقتصادي يساعد المتلقي ويدله على معرفة الطرق

1 ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 27.
2 حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، مطابع لرسالة، ع 1338، يونيو، الكويت، 1989، ص 90.
3 فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، المكتبة دار الكتاب، ط2، القاهرة،2002، ص 19.
4 حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص 91.

التجارية وذلك بذكر الرحالة لأهم تفاصيل رحلته بغية التجارة في بيع وشراء سواء كان ذلك بريا أو بحريا.

أما في حديثنا عن الباعث السياسي نجد أن: «الرحلات التي تكمن السياسية وراءها أنواع منها: الإدارية، والسفارية، الأمنية، فالإدارية هي التي ينجزها الرحالون بتكليف من الدولة خدمة لمصالحها الإدارية وتتعلق بالطرق ونظام البريد مما أنتج كتب المسالك والممالك .... «وهذا النوع ليس فيه المعلومات العلمية ولا يدخل منه تحت أدب الرحلات إلا بعض الأخبار والحكايات، ويمكن إدراج نوع أخر من الرحلات ضمن هذا الباعث هو " الحركة "التي ينجزها السلطان أو من يقوم مقامه لتفقد الأقاليم »[1] .

ومن هنا نرى بأن الرحلة تكون سياسة أو نوع تابع لها إدارية، وأمنية، سببا في رحلاته المتعددة، لخدمات تطلبها الدولة منه يسعى لتحقيقها من خلال رحلته فباختلاف دوافع الرحلة كذلك ارتبط معها دواعي تدوينها، وذلك لعدة أسباب تتمثل في « قد يخرج الرحال الإرضاء فضوله وحبا للاستطلاع، الأداء مناسك الحج»[2].

فالرحالة يرحل عن موطنه ويغترب بهدف إرضاء فضوله ورغباته وحبا منه للاطلاع والانفتاح على مواطن أخرى للاستفادة من معالمها.

وكذلك نجده "يلجأ اليها الرحالة من أجل تنمية قدراتهم الذاتية باعتبارها أن الرحلة مصدرا من مصادر(زيادة الخبرات)، قد تكون الرحلة من أجل القيام بأعمال رسمية من الحكام كالرحلات البريدية، والتعرف بالبلدان، ووصف الطرق والمسالك »[3]، يسعى الرحالة من تدونيه لرحلاته وكتابتها من خلال خطابه الأدبي إفادة المتلقي، ويعمل على تنمية قدرات القارئ العلمية وتزويده بالخبرات العلمية.

1إسماعيل زردومي، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، أطروحة دكتوراه دولية في الأدب العربي 2005 م، ص21.

2 ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص 38.

3 المرجع نفسه، ص 38.

ثانيا: مكونات الخطاب الرحلي:

للنص الرحلي عتبات، وتعد مفاتيح لتميز الأدب الرحلي عن باقي الأجناس الأدبية النثرية (القصة، الرواية، الحكاية).

وتتمثل في مكوناته التي « تستلزم وجود ثلاثة أطراف، ذاتا حاكية، محكي وموضوع الحكي»[1]، وتعتبر هذه الاطراف الثلاثة أهم مكونات الخطاب الرحلي، تعين القارئ على أخذ فكرة عن موضوعاتهم.

1-الحاكي:

هو الرحالة نفسه الذي قام بالرحلة في الواقع أو تخيلها «من خصائص الراوي في الرحلة، أنه هو المؤلف الذي قام بالسهر ليبلغنا بما اعترضه في طريقه وأثار الفضول في نفسه أثناء مساره»[2]، ومن هنا هذا أهم عنصر في المكونات، فالحاكي هو الذي يقوم بالرحلة، وهو مدونها في خطابة الرحلي.

2-المحكي عنه:

هو السفر الذي أنجزه الرحالة فعليا أو تخيله «فيسرد لنا الرحالة أحدث تجربته التي تعد إما وثيقة جغرافية أو تاريخية أو نصا أدبيا، فتجربة الرحالة تعتبر ترثا للأجيال الأتية»[3]، وفيما يخص هذا العنصر فهو يتعلق بتجربة الرحالة نتيجة رحلته وسفره وتعد وثيقة خاصة به تتوارثها الأجيال من بعده.

3-المحكي:

أو خطاب الرحلة هو تلفيظ لفعل الرحلة، وبنى الخطاب في الرحلة من ثلاث مكونات، المعرفة، السرد، الوصف.

---

1 عمر أكدات، مكونات الخطاب الرحلي، مدونة الأطلال لخطاب الرحلة، كلية الآداب، جامعة الأزهر، تم الاطلاع عليها في 02-02-2002م، ص39 .

2المرجع نفسه، ص39.

3 بولعسل كمال، سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي ، ص8.

أ-المعرفة:

تزخر الرحلات بالعديد من «المعارف المتنوعة نتيجة لارتباطها بحقول معرفية متعددة مما جعل الرحلة، وثيقة أساسية يعتمد عليها المؤرخون والجغرافيون والأنثروبولوجيون»[1] .

أما ما نفهمه من هذا أن الخطاب الرحلة الذي يجسد الرحلة في شكل نص أو خطاب أدبي يذكر فيه ويتبع أهم مكوناته من معرفة ووصف وسرد، أما المعرفة فهي تميز الرحلات وتجعل منها وثيقة أساسية.

ب-السرد:

يقوم بمواكبة أحداث الرحلة «من ابتداء فعل السفر لغاية نهايته متفاعل للسرود ينتج لنا حضورا الذات وتحرير خيالاتها فالرحالة يخبرنا من خروجه لغاية وصوله للمكان المنشود»[2].

هذا العنصر أو المكون يقوم بإخبارنا عن المراحل التي تمر بها الرحلة من زمان ومكان ومن بداية الرحلة إلى غاية نهايتها والأحداث التي تقع على إثراها.

ج-الوصف:

وذلك بوصف الرحالة «كلما وقع عليه نظرة وتمد انتباهه بأسلوب قصصي شيق»[3].

وهذا المكون يعبر عن اهتمامات الرحالة في شكل قصصي، حيث يعد شيء أساسي في الكتابات الرحالية.

ثالثا: خصائص الكتابة الرحلية:

إن انفتاح النص الداخلي على عناصر متحركة تحضر أحيان وتختفي بدرجات متفاوتة بتحكم بها المؤلف، فيمكن أن يستغني المؤلف عن الراوي أو البطل ويكون هو بطل

1حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص 43.

2 شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة، الخطاب الرحلي، الرؤية للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة 2006، ص 45 .

3المرجع نفسه، ص45 .

الرحلة وراويها والمقوم عليها، لكن يشترط عليه التقيد بخصائص الكتابة والمتمثلة في مستويين.

المستوى الأول:

أ- **بنية الضمير:**

ويتم السرد في الرحلة بضمير متكامل بتنويعات متفاوتة الحركة إلى جانب عناصر الوصف والاخبار والتعليق بالإضافة للتذكر والحلم"، وجود ضمير المتكلم بكثرة في الكتابات الرحلية، وذلك دليل على قيام الرحالة برحلته بنفسه.

ب-**بنية الذات:**

" تحضر ذات الرحالة «في رحلته بشكل ظاهر، فالكشف الخارجي للرحلة لا يتم الا إذا عرف الرحالة حقيقة نفسه وميولاته»[1]، حيث نرى أنه يعبر عما يختلج نفسه من أحاسيس، ويبدي بإعجابه أو تعلقه ببعض الأماكن دون غيرها.

ج-**هيمنة بنية السفر:**

السفر جامعة تحتفل «بالدروس والعبر وهذه الأهداف تحكمها حضارة ثقافته وتقاليده، ولقد تعددت دوافع السفر»[2].

وبهذا يعد السفر حافل بالعبر، فهو يمثل سعي الرحالة للوصول ومعرفة حضارات أخرى وتقاليدها وثقافتها نظرا لاختلاف وتعدد أسباب ودواعي السفر.

د- **أسلوب الكتابة:**

يعيد الرحالة سرد أحداث رحلته «ومغامراته بأسلوب قصصي بديع يؤكد الواقع من أجل إضفاء تشويق في نفس المتلقي»[3] .

1ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص40.

2 سيمائية الفضاء في رحلة ابن حامد الغرناطي، ص 11.

3شوقي ضيف، في مقدمة كتابة "فنون الأدب العربي، الفن القصصي للرحلات"، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1956، ص1.

ومن هنا فأسلوب الكتابة لدى الرحالة يعتمد على إعادة سرد وقائع رحلته وذلك من خلال مغامراته في شكل حكاية أو قصة تعكس الوقع بهدف التشويق وإثارة المتلقي.

المستوي الثاني: يتمثل فيما يلي.

أ- **بنية الزمن:**

يكون في النص الرحلي، «ويبدوا ظاهرا أن الفعل الماضي هو المهيمن في الرحلة، لكن المسألة أعمق من هذا تأثير فعل السفر هو تذكر يقلب الموازي بالتذكر أو يعيد صياغة الحاضر بالتأمل والحلم »[1]. نجد أن المقصود من بنية الزمن هو أن يقوم الرحالة في خطابه الرحلي بإحياء الماضي من خلال تذكره أحداث وقعت له في زمن قد خلى، ويقوم بصياغتها في حلة جديدة.

فيقوم بإسقاط الماضي على الحاضر في بعض الأحيان من خلال تذكر بعض الوقائع السابقة، أما أوقات تنقله فكلها معلومة.

ب- **تعدد المضامين وتداخل الخطاب:**

وهذا الموضوع مرتبط «بزمن الحكي إما أن يكون حقيقي أو مجازي، والذي يربط ماضي الرحالة ويقوم على معتقدات وأشخاص وفي كل الحالات حيث يعيننا على إعادة الماضي لذا فالماضي هنا يكون مشبع بأزمنة مختلفة ومتفاعلة»[2]. تعدد المضامين ويكون هناك تداخل للخطاب وذلك بتداخل الأزمنة من ماضي وحاضر ومستقبل وتتفاعل فيما بينها من خلال الأحداث الوقائع ويمكن للرحالة ومدون الخطاب أن يتحكم فيها كما يريد.

وفي الأخير نستنتج أن بعض الدارسين يعتبرون أن تسمية أدب الرحلة مجرد مسلمة، لم تحدد بدقة الخصائص التي تتميز بها الرحلة كخطاب أدبي عن بقية الخطابات الأدبية الأخرى، حيث تختلف تسميتها حسب اختصاص دارسيها، فأدب الرحلة إذا تضمن مواقع ويطلق عليه الأدب الجغرافي، وإذ احتوى وصف للمالك والمسالك وربطها بوقائع تاريخية تندرج ضمن الأدب التاريخي، أما أسلوب الكتابة الرحلية تختلف حسب اختلاف الاختصاص ومضمون الرحلة.

---

1 شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي تجنيس، آليات الكتابة، الخطاب الرحلي،ص 187.

2المرجع نفسه، ص 189.

الفصل الأول

مسارات أدب الرحلة

- **أولا :أدب الرحلة في الأدب العالمي**
- **أ-أدب الرحلة في الأدب العربي.**
- **ب-أدب الرحلة في الأدب الجزائري.**

تمهيد:

يعد الأدب الرحلي من الأنواع الأدبية التي تنفرد بمميزتها وطابعها المتميز وذلك أنها تحتوي مضامين مختلفة شملت جميع الجوانب منها السياسة، الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية والدينية، لذا لم يكن الأدب الرحلي وليد الصدفة بل هو نتيجة لتضافر مجموعة من العوامل الذاتية والموضوعية، بحيث يرتبط الأدب الرحلي بتخصصات مؤلفيها في التاريخ والجغرافيا والأدب والخدمات السفرية، أما كتاباتها تختلف عن غيرها ويمكن النظر إليها بما تتوفر من معطيات مكثفة مع باقي الأشكال التعبيرية والتي تقوم على المبادئ جمالية المشهد وكثافة المعنى، وكل ذلك بأسلوب سهل.

كما يرتكز في المقام الأول على السفر والتذكر، كما يعد مصدرا مهما للدراسات وخصوصا عند العرب، بحيث شكلت الكتابات الرحالية مكتبة نادرة في الأدب العالمي.

هل ساهم الأدب الرحلي في إثراء الأدب العالمي؟ وما دور العرب في ذلك؟

وفي محاولة لنا للإجابة عن هذا الإشكال ارتأينا خطة بحث أتبعناها بالفصل الأول الذي عنوناه بمسارات أدب الرحلة، والذي ينطوي تحت هذا العنوان ثلاثة عناصر تبدأ بتمهيد، ثم يليه العنصر الأول الذي أدرج تحت عنوان أدب الرحلة في الأدب العالمي، ثم يليه العنصر الثاني الذي وسمناه بأدب الرحلة في الأدب العربي، أما العنصر الثالث أبرزناه تحت عنوان أدب الرحلة في الأدب الجزائري.

أولا: أدب الرحلة في الأدب العالمي:

تعود جذور أدب الرحلة الى العصور الجاهلية الأولى قبل الإسلام نتيجة لطبيعة الحياة اليومية القائمة على التنقل والترحال ولذلك «تعود إلى فكرة القائم في المقام الأول ثم إلى طبيعة الحياة العربية البدوية التي تعتمد على الرعي بحثا من الكلأ والماء وحتى التجارة، فالأدب الاستطلاعي كان معروفا قديما عند "الفراعنة والفنيقين والرومان والإغريق»[1] .

وإضافة إلى ذلك كان انطلاقه الاول في القرن الثاني وأكبر رحالة عرفه الإغريق "دهيروت" الذي زار "مصر"، و"قبرص"، و"فينقيا" و"إيران" وتوغل في الشمال إلى "البوسفور" بالإضافة إلى "بلوترك" الذي عني بتاريخ "اليونان" و"الرومان" ومنه استمد شكير كثيرا من مسرحياته وفي مقدمة هؤلاء المؤرخين "بوليوس قيصر" الذي دون في كتابه «التعليقات »حروبه في الغال وراءه كثيرا من "مؤرخي الرومان" بقصون الأسفار والرحلات ويصيفون البلدان النائية، ممن برعوا في ذلك «تاسبت» الذي قص أحوال "نيوتون" الأول في كتابه "جرمانيا".

وعلى هذ نفهم بأن في أدب الرحلة، يعمل الرحالة على تقصي أحداث رحلتيه وسفره ويركز على رحلاته التجارية، وفي سرده لها يتأثر برحلات القدماء، واحتكاكه بالحضارات القديمة.

وفي حديثنا عن مسارات الأدب الرحلي في العالم العربي نجد أنه مر بمرحلتين:

أ-المرحلة الأولى: الرحالة العرب القدماء.

لقد كان اهتمام «الرحالة العرب في كتابتهم بكل ما يتصل بالرحلة أو الرحالة بذاته فيقومون بالاستعداد، بتجهيز الخرائط وكما يستعدون إما نفسيا كما اضطر بعض هؤلاء للعمل بالتجارة لانطلاقها على الرحلات فراقبوا الاقتصاد، ولقد ظهر الأدب جليا في القرن

1 شوقي ضيف، فنون الأدب العربي الفن القصصي الرحلات، ص 08.

الثالث هجري مع ابن يعقوب من خلال كتابه البلدان قام برحلات كثيرة امتدت شرقا "الهند" وبلغت أقساطا غربا برحلة إلى"بلاد المغرب" و"الأندلس"[1]».

ومن هنا نجد بأن هذه المرحلة تمثل استعداد الرحالة للقيام برحلته قصد التجارة والاقتصاد، ولقد ظهرت هذه المرحلة التي تمثل رحلة الانطلاق، وكان هذا الأدب قد مثل هذا الأدب مع الرحالة "ابن يعقوب" الذي جاب العالم ودون ذلك من خلال كتاباته بالإضافة إلى ذلك اهتم العرب القدماء بالجغرافيا والملاحظة البحرية فقط، دون التركيز على الجوانب الأخرى فوصفوا البلدان التي دخلت مع الفتوحات، فتحدثوا عنها في كتاباتهم التاريخية الأولى ودعاهم مافي القرآن الكريم من إشارات الأمم السابقة على عند أهل الكتب السماوية قبلهم من أخبارهم، وضموها وعرفوا ذلك من تفاسير الكلام الله المنزل عليهم فالقرآن الكريم «أورد في آياته ما ساعد العرب لتجاوز مخاوفهم كالضياع والغرق في البحر فأرشدهم المولى بالنجوم للاستعانة بها في الملاحة وحثهم على السعي للرزق في البر والبحر بل إن من دلائل وجود الله وعظمته "قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ الرحمن ٢٤»[2].

نفهم من هذا أن القرآن الكريم كان يساعد الرحالة في رحلاتهم خاصة في الملاحة بواسطة النجوم، لمعرفة الاتجاه الصحيح، والفضل الله عز وجل في ذلك.

أما في العصر العباسي: «اعتمد "المأمون بن هارون الرشيد" في تأسيسه علم الجغرافية العربية على أساس خريطة تم يأخذ بطليموس ثم يأخذ العرب التأليف الجغرافي فيصفون دولتهم الكبيرة [3]»، ومن هنا نجد أن العرب كانوا يعتمدون على الجغرافيا في وصفهم لرحلاتهم ودولتهم، وخاصة في العصر الذهبي.

وكان هذا الامتداد الجغرافي، «من "الهند" وحدود "الصين" إلى "إسبانيا" و"جيل البرانيس" ومن "القوقاز" و"أسيا الصغرى" إلى "السودان"، المجاورة لهم وأمد مع ملاحوهم

1 فوائد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 117.

2سورة الرحمن الآية 24.

3 شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن القصصي، الرحلات، ص 13.

بمعارف كثيرة من أهم المحيط الهندي جزره، وما بديارهم من أثار وعجائب، قضوا ما عندهم من أساطير وخرافات[1]».

بالإضافة إلى هذا نرى بأن الكتب العربية الجغرافية أضحت كتبا أدبية تعتمد على المشاهدات والحكاية لما رآه الجغرافي بعينه وسمعه بأذنه، فهو أقرب أن تكون كتب رحلات إلى تكون كتب جغرافية يستدلون بها على الطرق، لذا كانت الدولة العربية تحتاج من جهة ثانية لمعرفة الممالك في البر لتنظيم البريد والاتصال بالبلدان الأخرى، كما ركزوا على جانب القص، فهي كتب تقدم للشعب لا إلى الدولة والطبقة المثقفة.

مما أوجب ظهور كتب تتعلق بالجانب الجغرافي ومنها.

1_المسالك والممالك " لابن حوقل":

يعد ابن حوقل " من الجغرافيين في القرن الرابع هجري العاشر ميلادي «نشأ في بغداد وقرأ ما سبقه وما عاصره من الكتب التاريخية، فوصف ما يأخذه عن عينه ومشاهداته في العلم الإسلامي، فطاف العالم الإسلامي ثلاثين سنة ثم وضع كتابه وتصادف مع حكم الفاطميين ل"مصر"، فتحول داعيا لهم واتجه المسالك والممالك هذه الوجهة السياسية، ويتضح ذلك في حديثه عن البلاد التي كان الفاطميين يريدون أن يستولوا عليها مثل "الأندلس" و"صقلية"، فلقد اعتمد إلى نعت الأندلسيين بالضعف الحروب ونقص استعدادهم فيها، ليزين للفاطميين فتح هذه البلاد وما يهمنا هو طريقة وصفه للأبنية والأسواق والمساجد والمطاعم[2]».

فضلا عن ذلك نرى بأن الرحالة كان لهم وجهة سياسية خاصة الفتوحات، والحروب ولكن ما يركز عليه الرحالة من خلال رحلاته سواء السياسية أو غيرها من الأصعدة ينبغي أن يعمل على وصف أثار الدول من أبينة وأسواق وزقاق ومساجد .... الخ.

1 علام حسين، العجائبية في رواية " الطاهرين جلول " رسالة ماجستير، جامعة وهران، ص 25.

2شوقي ضيق فنون الأدب العربي، الفن القصصي، الرحلات، ص 46.

2_كتاب نزهة مشتاق في اختراق الافاق الإدريسي:

ويتناول هذا الكتاب رحلة: «"شريف الإدريسي" الذي يعتبر مؤسس علم الجغرافيا وكتب في الأدب والشعر والطب ويعتبر أول من رسم خريطة العالم تتشابه مع ماهو موجود في يومنا هذا» [1] .

وركز العرب القدامى على الكتب الجغرافيا مما جعلها كتب جغرافية يستدل بها الناس ليهتدوا بها سبلهم فقط، فقط أهملوا الجانب الادبي وهو الغرض الرئيسي من الرحلة، وإخبار الناس بما رآه من مناظر وسهول والغابات وغيرها، لذا وجب هنا على الرحالة القدامى ان يوازنوا بين ما هو أدبي وجغرافي.

ب-المرحلة الثانية:

تتمثل هذه المرحلة من مسارات أدب الرحلة على أنه: «عاش العرب فترة الركود في جانب الأدب الرحلي وفي الساحة الأدبية على جميع الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، الأمر الذي جعل هذه الفترة عقيمة وراكدة وأهم ما عانته العرب هو تفاوت السلطة إضافة إلى طغيان الكشوفات الجغرافية الغربية[2]».

نرى بأن سبب هذا الركود في أدب الرحلة عند العرب، هو الكشوفات الجغرافية الغربية التي تسببت في تراجع تدوين العرب لرحلاتهم، والسفر إلى دول العالم وتعقب أثارهم وأساطيرهم وتدوينها للجمهور العربي.

ولكن بالإضافة إلى هذا العقم الأدب الرحلة في الساحة الأدبية نجد أنه «سرعان ما عادت الرحلات العربية إلى الناشط شيئا فشيئا وركزوا في هذه الفترة على الرحلات البحرية، يصنع التراث العربي كتبا قيمة في فن الملاحة التي تبرز لنا جدارة العرب في مضمار البحر وهذا ناتج عن اتساع معارفهم الجغرافية وهنالك اسمان بارزان في الساحة البحرية، وهما "أحمد المصري " ومحمد بن ماجد "» .[3]

1شوقي ضيق فنون الأدب العربي، الفن القصصي، الرحلات، ص 19.

2 فوائد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 81.

3 يذكر إبراهيم خوري، في تمهيد لكتابة العلوم البحرية عند العرب أنه، ذكر لسليمان أحمد المصري، في التراجم المنشورة، في المصادر العربية الأخرى، المطبوعة ويدل اسمه على أصله مصري، وأنه اعتمد بأن كتب الملاحقة السابقة لهذه قليلة

ومن هنا نجد أن اهتمام الرحالة العرب بالرحلات البحرية، وساهموا في اثبات موقفهم وجدارتهم في مضمار البحر نظرا لمعارفهم المتنوعة في علم الجغرافيا.

أما في حديثنا عن الرحلة:" محمد بن ماجد " الذي جاب البحار، «وهو الملقب بأسد البحار ويجمع الجغرافيون، والمؤرخون المسلمون وغيرهم على أن العرب من سكان سواحل شبه الجزيرة العربية، ملاحون مهرة، من القدم وأصبحت دراسة كتبهم ضرورة يستعين بها البحار والعالم الجغرافي والمؤرخ على السواء» .[1]

وبهذا تعد كتب الرحالة مرجعا للبحار والعالم الجغرافي والمؤرخ الحضاري، وقد أثارت اهتمامهم على سواء.

ويتواصل حديثنا عن الرحلات البحرية لدى الرحالة العرب: «ففي جنوب الجزيرة العربية قامت حضارات زاهرة في "اليمن"، وكان اعتمادها أساسا على النشاط التجاري في البحر العربي والمحيط الهندي ويعود الفضل في هذا لليمنيين القدامى الذين يعرفون الطرق البحرية حق المعرفة»[2]. ونجد أن الرحلات البحرية العربية قد ربطت بين سواحل إفريقيا الشرقية ومناطق عديدة، وهكذا زخرت قصص البحار العرب قبل الإسلام، وبعده عن طبائع الشعوب في البقاع البعيدة، مثل الهند، والصين وذلك الوقت كانت أروبا تجهل الكثير عن هذه الأماكن وعن الرحلات البحرية التي وصلت "للهند" و"الصين".

ولعل أبرز هذه الرحلات البحرية نجد:

رحلة التاجر "سليمان المسيرافي":

والتي يعدها المؤرخ "حسين فوزي" بأنها: «من أهم الأثار العربية عن الرحلات البحرية في المحيط الهندي، وبحر "الصين" في القرن التاسع ميلادي، ورما كانت الأثر

وبعيدة عن الجود له خمس مؤلفات منها المناهج الفاخر في علم البحر الزاخر، العمدة المصرية في ضبط العلوم البحرية الذي حرره عام 787 –1069 م

1 ولد ابن ماجد بخلفار، على الساحل الجنوبي العربي حيث تقوم إمارة رأس الخيمة في العقد الثالث تقريبا من القرن التاسع الهجري، الخامس عشر ميلادي، وبلغ في علم الفلك والملاحة مالم يبلغه غيره ممن تقدمه أو عاصره.

2 عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيون العرب ومقتطفات من أثارهم، دار الفكر، ط1، د ب،1954 م، ص 615،626.

العربي الوحيد الذي يتحدث عن سواحل البحر الشرقي الكبير والطريق الملاحي إليها على أساس الخبرة الشخصية مع التزام الموضوع وعدم الخروج إلى الأحاديث الجانبية» [1].

ومن هنا تعتبر هذه الرحلة أثر عربي عريق تحدث عن سواحل البحر، والطريق الملاحي، في حين يعتمد على الخبرة والتجربة الشخصية والذاتية بالإضافة إلى هذه المرحلة التي مثلت الرحلات البحرية، والحق أن «الاختصاص في الدراسات الصينية من المستشرقين ثبت عندهم الكثير مما جاء في حديث "سليمان " عن أحوال "الصين" الاجتماعية[2]». نجد ان ذلك الأثر العربي أصبح مرجعا ومحل دراسته لكل من أراد أن يبحث في أحوال البلاد "الصين" على جميع الجوانب والأصعدة.

وانقسمت الرحلات البحرية واقعية وخيالية نجد أنه: «اختلط الواقع بالخيال وتداخلت الأسطورة في الحقيقة في وصف الرحلات العربية، فقد كان من ركاب البحر المسلمين الذين جابوا عبان البحر، ولعل كتبه، برز منها شهريار الشهير، لنأخذ "الرام هرمزي" المتوفي عام 340 هـ، القرن العاشر ميلادي، وفي سفره المسمى "عجائب الهند" بره وبحره وجزائره " يشكل أحد أعماله الشهيرة التي ارتبطت بالواقع ويبرز "برزك" ذلك ».[3]

أهوال البحر فيحكي عن واقع عرف مركب فيبدأ بوصفه بقوله: "ومن مصائب البحر المشهورة التي أثرت الى يومنا هذا، وعن عجائب البحر وغرائبه يذكر نقله له أحد البحار بأن في بحر الحبشة سمكا له وجه كوجه بني آدم وأجسامه، أما الأيادي والأرجل فقوله يندرج ضمن الرحلات الخيالية فليس هنالك سمكا له وجه كوجه البشر، فلقد أطلق العنان لخياله، لتصوير المظاهر العجيبة والغرائبية التي يمكن أن يصادفها البحر إثر إصابته بهذيان البحر.

وفضلا عن ذلك نقدم نموذجين أحدهما واقعية وأخرى لرحلة خيالية نبدأ «برحلة "ابن جبير"، ثم ننتقل إلى السندباد ونستطيع رأيه في البحر حيث تعد رحلاته السبع بمثابة تاريخ

1عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيون العرب ومقتطفات من أثارهم، ص21، 22.

2 حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص202.

3المرجع نفسه، ص 208.

أسطوري الكفاح الإنسان منذ ما قبل التاريخ في العصر الحاضر بالنسبة لألف ليلة وليلة ثم الحاضر بالنسبة لنا فيما بعد وهي تسجيل فني للتطوير الحضاري للإنسان العربي ».[1]

ومن هنا نرى بأن الرحلات الواقعية هي تعكس الواقع،أما الرحلات فهي إبداع الرحالة وخياله، وبهذه الرحلات الخيالية تتعلق بما هو أسطوري والهدف منها اخذ العبر والتثقيف.

وفي حديثنا عن رحلات "ابن جبير"، في نص له يقول فيه:«... وفي لليلة الأربعاء بعدها من أولها عصفت علينا ريح هال البحر وجاء معها مطر ترسله الرياح بقوة كأنه شبيب سهام فعظة الخطب واشتد الكرب وجاءانا الموج من كل مكان أمثال الريح أحدها ومزقته وكسرت الخشبة التي تربط الشراع فيها وهي المعروفة عندهم بالقرية فحينئذ تمكن اليأس من النفوس وارتفعت أيدي المسلمين بالدعاء الله عز وجل وأقمنا على تلك الحالة النهار كله، فلما حب الليل فترة الحال بعض الفتور وسرنا في هذه الحالة كلها بريح السوراي»[2] .

يبدو في هذه الرحلة مزج بين واقع والخيال، فأحادثها كأنها حقيقة، والذي جعل منها رحلة شيقة هو عنصر التشويق والإثارة في المتلقي.

وفي مواصلة حديثه عن رحلته المخيفة قال: «وفي هذا الصباح المذكور ظهر لنا صقلية وقد اجتزنا أكثره ولم يتبقى منه الأقل وأجمع من حضر من رؤساء البحر من الروم وممن شاهد الأسفار والأهوال في البحر من المسلمين أنهم لم يعانوا قط مثل هذا الهول ».[3] نرى بأنه يذكر الأماكن وكأنه قد زارها في الواقع وضمنها في رحلته الخيالية، ونجد كذلك يصور لنا مجابهة البحار أهوال البحر، فهو يصف كل ما تعرض له من مصائب حزن، يأس خوف، فرحلته تندرج ضمن الرحلات الواقعية النابعة من تجربته الذاتية.

1 حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص 208.

2 المرجع نفسه، ص 208.

3 عبد الرحمن السواري فهمي، رحلات السندباد، وما جرى له فيها من الحوادث العجيبة والمصادفات الغريبة، دار الشروق، القاهرة،1971، ص 209.

بالإضافة إلى تلك الرحلات الواقعية التي يتخللها الخيال ويتداخل معها، سنتحدث عن "سندباد البحري" في حديثه عن البحر يقول: «البحر لغز أكثر استغلاقا يا سادة يا كرام من اللغز الموت ...؟ اسمعوا إذا عندما يضعكم الموت في احضانه لا تعدو مجاهليه أن تكون أحد الثلاثة، فإما أن ينتهي بكم إلى الجنة إن كنتم صالحين أو إلى ... الهلاك أما البحر يا سادة الكرام لا حصر لها، ولا عد فإذا أخذنا بين أحضانه فقد أي أمل قد ركبناه صافيا براقا كأرض هذه الردهة المرمرية متى سنقلب وحشا عاميا يلطمنا موجه الذي هو كالجبال ... تتآكل لحومنا وتتفتت عظمنا البحر ... البحر ... ماذا أحكي لكم عن البحر وماذا أدع يا سادة ... خير لكم ولي أن أعود إلى سرد قصة رحلتي الثالثة ».[1]

فحديث السندباد نابع من تجربة شخصية أعاد صياغتها بطريقة خيالية من اجل زيادة التشويق والتأثير في نفس المتلقي، فهو يحكي كفاح البحار من أجل النجاة من البحر فراكب البحر في نظره لا منجي له من الغرق والموت، أو النجاة مع معاناة وصدمة نفسية يذكرها طوال حياته.

ثانيا: أدب الرحلة في الأدب العربي

أ- دور الرحالة العرب المحدثون:

يشهد العصر الحديث أدب الرحلة لدى العرب المحدثون، بعد ما تطرقنا إلى الأدب الرحلة عند الرحالة العرب القدامى، فنجد في القرن السابع عشر بعض الرحلات نذكر منها: «ومن الغرب العربي تحديدا رحلة العياش المسماة " ماء الموائد" والمعروفة بالرحلة العياشية وهي رحلة حجازية، وكان في مقدمة الرحالين عربيا " رفاعة رافع الطهطاوي" في رحلته إلى باريس "وخير الدين التونسي" و"شهاب الدين الألوسي" و" وعبد الله فكري " و"احمد فارس الشدياق " وسليمان البستاني"»[2].

1عبد الرحمن السواري فهمي، رحلات السندباد، وما جرى له فيها من الحوادث العجيبة والمصادفات الغريبة، ص 210.
2 فوائد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 81.

نرى بأن أدب الرحلة عند العرب في العصر الحديث، اشتهر بالكثير من الرحلات التي شاع صيتها في الساحة الأدبية، وأصبحت تتداول بين الجماهير العربية، وهناك العديد من الرحالة وخاصة في الجهة الغربية من الوطن العربي.

وفضلا عن ذلك سعت بعض الدراسات والمنظورات الحديثة «إلى رسم صورة للرحلة اعتبرتها تسجيلا للانطباعات والمشاعر وإحدى الفنون الأدبية المتعددة إلا أن هذا الأدب لم يتطور التطور المناسب ليتحول لقطاعات الثقافية الحديثة والوعي نفسه الذي يحصر الرحلة في باب الأدب الذي نهض بالثقافة العربية وبالفكر الثقافي بإيصال مباشر أو مع حقول أخرى» .[1]

ومن هنا نرى بأن الدراسات الحديثة جعلت من الرحلة تجربة تعكس انطباع وذات الأديب والرحلة، واعتبرها جنسا من الأجناس الأدبية، إلا أن هذا الأدب الرحلي لم يلقي تطورا ليدخل مدخل الثقافة الحديثة، فقد قامت هذه المنظورات ضمن الأدب ونسبتها إلى الثقافة العربية.

وهناك من ربط هذا الأدب، «بمشاهدات المسافرين المدونة في الكتب، إذا ربط الرحلة بنوع خاص يعني تسجيل الحاج للمشاعر والحوادث والمشاهدات التي تقع له منذ لحظة خروجه من بلدته إلى عودته إليها ».[2]

نجد فئة أخرى من الدارسين، المحدثين ممن «لم يفرقوا بين الرحلة والرسالة والتقيد والتأليف والتصنيف، بحيث كل دارس يستخدمه حسب مجال عمله مهملين بذلك جانبها الفني ».[3] ومن هذا نستنتج أن الخطاب الرحلي يتفاعل مع مختلف الأشكال الأدبية وغير الأدبية والجغرافية والتاريخية، ولا يمكن الفصل بينهم باعتبار أن النص الرحلي مرتبط في بادئ الامر مع الجغرافيا "العين" ذات مرجعية تاريخية ثقافية إلى ذات، في بعض الأحيان يتحدث الرحالة عن نفسه وما أثر في نفسه.

1 مجلة الفكر العربي، يونيو، معهد الانماء العربي . بيروت، لبنان،1988، ص 05

2 شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، أليات الكتابة، خطاب المتخيل، ص 45،47.

3 المرجع نفسه، ص 48.

لذا فهو تفاعل وتكامل الخطاب الرحلي مع باقي أشكاله الأدبية " سرد، وصف، لغة التي تتوافق مع روح العصر مع مراعاة دوافع الرحلة، سياسة، دينية، واقتصادية... الخ.

ب- دور الأدب العربي في إثراء الأدب الرحلي:

سنتحدث في مضمون هذا الدور الذي حققه الأدب العربي في إثراء أدب الرحلة أو الخطاب الرحلي، فالمورث «الرحلي للأدباء العرب القدماء كان غنيا بالرحلات الجغرافية والتاريخية والاكتشافات الأدبية التي تعد مرجع للأدباء المعاصرين»، فقد جد الرحالة جميعهم في النظر والتحقيق في آثار البلاد و أخبار العباد كما جاء في عنوان«"زكرياء القزويني" وفي كتابه الذي صدر في القرن التاسع الهجري، أما رحلة الفترة الثانية أي رحالة عصر النهضة أو الرحالة المحدثون، فقد ارتحلوا من عالمهم الإسلامي للغرب وهكذا قصدوا أروبا بغية الكشف عن سر تقدمها»[1] .

إن الأدب الرحلة قديما كان يعتمد على الرحلات الجغرافية بالإضافة إلى التاريخية والتي تعد هذه الرحلات مرجع الأدباء المعاصرين، أما فيما يخص الرحالة المحدثون كانت وجهتهم عللا الغرب قصد أرواب من أجل معرفة سر تطورها.

كما لا نسى دور المعاصرين في تقيد الأدب الرحلي القديم فلقد أضافوا فيه ما يسمى:

1-دائرة التخصيب:

نجد انفتاح الخطاب الرحلي ضمن: «دائرة متعددة المنافذ على أشكال أدبية وغير أدبية، بتفاعل معها، ونقل السرد من الرتابة إلى التجديد، فلقد أخرجوا الأدب الرحلي مع أشكال سردية أخرى ذات تأثير وحضور في النص الرحلي تتحول إلى عناصر سياسية في نسج البناء النص والدلالي، وذلك بدرجات متفاوتة من مؤلف الأخر ومن عصر الأخر القديم، الحديث ».[2]

ومن هنا نرى بأنه مما أوجد جدال حول المصطلحات القديمة والحديثة، فصاروا لا يفرقون بين السيرة والتأليف والتراجم والتي تعتبر كلها إ انتاجات عربية أثرت في الأب العالمي.

1 حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، ص 205.

2 رنا قباني، أساطير أوروبا عن الشرق، تر صباح قباني، دار طالسا، ط1، دمشق، سوريا،1988، ص13.

2-الكتب المتعلقة بالسيرة:

تعد هذه الكتب محدودة خصوصا في «النصوص الحجازية ورحلات المغامرة، ذلك أن السيرة وهي شكل متبلور يتخذ موقعه المركزي في النص الرحلي في الرحلات العربية لكن الأكيد أن النص الرحلي يتضمن تدوينا لحمل السرد والوصف والتعليقات حيث تحضر الذات من خلال الجهاز المعرفي للرحالة وطريقة فهمه.

فهذه الكتابة لا تخضع لرغبة الفرد في الحديث عن نفسه رغم أنها كتابة التاريخ شخصي بقدر ما تخضع الموقف ثقافي في عام ».[1] تتميز الكتب المتعلقة بالسيرة بسرد رحلات المغامرة وتعمل على وصفها أي كل ما يتعلق بالرحلات العربية وهي تخاطب العامة من الناس المثقفين ولا تحكي سير أشخاص معنيين.

3-الكتب المتعلقة بالتراجم:

تقوم هذه الكتب بسرد سير بعض الشخصيات المشهورة: «وتوسع أكثر حينما ارتبط بالخيال ومع السير الشعبية التي لها تاريخ طويل وعريق، ويؤكد أحد الباحثين أن النقطة الرئيسية هي التراجم، ذاتية عربية ولقد ترجمت عدة مؤلفات لغير العرب بقصد التثقيف ونشر ثقافة الغير من أجل خدمة الأخر عكس النصوص القديمة التي كانت تتمحور إما تفسيرا للأحاديث النبوية أو تراجم للعرب القدماء ».[2]

ومن هنا نجد كتب التراجم تسرد سير الشخصيات المشهورة التي معترف بتاريخها المجيد وقد ترجمت العديد من الكتب الغربية والعالمية قصد التثقيف والمعرفة.

4-الكتب المتعلقة بالتاريخ:

تعد هذه الكتب التي لها علاقة بالتاريخ وحضور الرجعية الثقافية التاريخية «لذات الرحلة في وصفه الأحداث رحلية أمر طبيعي، فجل النصوص الرحلية تتضمن بنيات كاملة يؤرخ فيها المرتحل للفترة التاريخية التي استغرقها رحلته، فضلا عن الأحداث التي عاصرها

1 شكري مخبوت، سيرة الغائب، سيرة الأني، دار الجنوب للنشر، د، ط، تونسي،1982، ص 23.

2 شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس اليات الكتابة، خطاب المتخيل، ص 53.

من منظر المعاينة والقراءة والتأويل والسماع وممن اشتهر في الصنف نجد "الطبري" و"المسعودي" ».[1] تعني هذه الكتب برسم صورة الثقافة الرحالة التاريخية فهو يقوم بدور المؤرخ من خلال تدوينه للأحداث التاريخية التي عاصرها أثناء رحلاته، ونجد ذلك في خطابه الرحلي.

5-الكتب المتعلقة بالجغرافيا:

نجد مثل هذه الكتب تدرس الثقافة العربية وتتميز: «بنصوص جغرافية كثيرة ومتنوعة، اندرج أغلبها في سياق علمي وانقسمت الكتب الجغرافية أدبية والبرية والبحرية، ولقد اتفق العديد من الباحثين القدماء والمحدثين بمثابة الارتباط أن الرحلات تفرعت عن الجغرافيا الإسلامية ودورها في إثراء المكاتب العربية من جهة أدبية أساطير، خرافات» .[2] تقوم هذه الكتب بتناول الجغرافيا البرية والبحرية في شكل خطاب أدبي، وكذلك تتحدث عن جغرافيا بلاد المسلمين ودورها في إثراء الكتب العربي من الناحية الأدبية بكل ما يتعلق بالأسطورة والخرافة.

6- السجلات الاجتماعية:

تتشكل السجلات الاجتماعية في النصوص الرحلية وتعتبر رافدا أساسيا «الإغناء النص، وتوسيع أبعاده وتنويعها وخصوصا أن جل الرحلات تخلو من تقاليد وعادات الناس، وهي غير دقيقة مثل علم الاجتماع، فهي دراسة أسلوبية لأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين من خلال فترة محدودة ».[3]

تتميز هذه التسجيلات الاجتماعية بإضفاء لمسة على الخطاب الرحلي من خلال ذكر عادات وتقاليد المجتمعات والاعتماد على علم الاجتماع في تدوين الرحلات.

7-الخانة الفارغة:

تعد شكلا مفتوحا يضم مجموعة من المتغايرات تحضر بدرجات متفاوتة.

1 شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس اليات الكتابة، خطاب المتخيل، ص57.

2 المرجع نفسه، ص 57.

3 حسين فهيم، أدب الرحلات، ص207.

أ-الحكي والخبر:

يحدث ذلك بظهور: «الحكي والإخبار في النص الرحلي ضمن وحدات مهيمنة تتضمن لوصف والمقارنة والتعليق في جمل سردية، يتم تقديمها عبر مراحل الرحلة، وفي بعض الأحيان يغلب عليها طابع الحكي الذاتي» .[1] ومن هنا نجد الخطاب الرحلي يتميز بأسلوب الإخبار والحكي، فيقوم الرحالة من خلال الحكي عن رحلته في شكل نص يحكي ويضيف أحداث رحلته ووقائعها وذلك عن طريق المقارنة والتعليق في جمل سردية، يقدم من خلالها مراحل رحلته من فترة انطلاقه الى وصوله ويغلب على ذلك الطابع الحكي الذاتي الفردي.

ب-الشعر:

يستعمل الرحالة في خطابه الرحلي، ويحضر «تعبيرا عن ثقافة الرحالة وقدراته ويختلف باختلاف المهارات والقدرات الأدبية والفكرية إلا أنه يغيب في رحلة ابن فضلان " والرحلات الجغرافية كلها»[2]. يوظف الرحالة في نصه ويقف عن أبيات من الشعر سيذكر بها موقفا حدث له أثناء رحلته، وهذا ما يثبت جدارة الرحالة وقدراته الأدبية ومهارته الفكرية.

ج-دور أدب الرحلة العربي في إثراء الأدب الرحلي الغربي:

في العصر الحديث انفتاح كبير للعرب نحو الغرب نظرا للعديد من الرحلات «والأعمال الهامة إلا أن بعض الرحالة العرب كانوا ذهبوا إلى أوروبا، إبان القرن التاسع عشر ولكن أعمالهم لم تحظ بالشهرة بالكبيرة، نذكر على سبيل المثال، نقلا عن الباحثة "نازك سابايارد" مرحلة "فخر الدين " المعني الثاني الذي أقام في أوروبا وأمريكا في عام 1983 فالمخطوطات المدونة شكلت منبع للمعارف المختلفة التي تساهم في إثراء الساحة الأدبية والفكر العربي كما يشكل الفكر العربي كما يشكل هذا المورث مصدر فخر العرب».[3]

1 محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، ص 45.

2 المرجع نفسه، ص 45.

3 نازك سابايارد، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، مؤسسة نوفل، ط1، بيروت، 1979 م، ص 09.

ومن هنا أن دور أدب الرحلة العربي في إثراء الأدب الرحلي الغربي يتمثل في المخطوطات الجغرافية التي شكلت معارف متنوعة ساهمت في إثراء الساحة الأدبية واستطاعت أن تلعب دورا مهما وذلك من خلال أعمال الرحالة الأدبية التي استفاد منها الأدب الرحلي الغربي في معرفة الطرقات البرية والبحرية.

وفضلا عن ذلك وفي حديثنا عن المخطوطات نجد أنها «حظيت باهتمام المستشرقين الأوروبيين إبان القرن التاسع عشر إلى العشرين، فعملوا على تحقيقها وضبطها وطباعتها وقد جاء اهتمام كجزء من عمل موسع للدراسات الشرقية والحضارة الإسلامية خاصة وذلك منذ الحروب الصلبية والأغراض المعرفية والسياسية على حد سواء كان المستشرقون يلتمسون في دراسة التراث العربي الإسلامي فهما لمنهجية التفكير الإسلامي وقوفا على اهتمامات ومقومات الثقافة العربية الإسلامية وفي هذا الصدد كتب المؤرخ "جمال الدين الشبال"» .[1]

نفهم من هذه الفكرة أن المستشرقون الأوربيون انشغلوا واهتموا بالمخطوطات الرحلية العربية، فحاولوا ضبطها وتحقيقها ومن ثم طباعتها وجعلوا جزاء من دراستهم، وقاموا بدارسة التراث العربي الإسلامي وذلك لفهم التفكير الإسلامي وثقافة المسلمين العرب.

وإضافة إلى ذلك نذكر قولا: "جمال الدين الشبال" ووجهة حول المخطوطات واهتمام المستشرقين بها «انقلب الأوربيون إلى ديارهم بعد أمنوا بالهزيمة في الحروب الصلبية، وقد أبهرتهم أنوار الحضارة الإسلامية فأخذو، معهم مفاتيح تلك الحضارة فتفرغوا لها.

يقتبسون من دلالاتها، ينقلون أثارها، ويدرسون تواليفها، ولقد ساعدتهم عوامل جغرافية وتاريخية واجتماعية واقتصادية على أن السير بالحضارة في طورها الجديد على الأوروبيون يفعلون هذا كله في حين كان الشرق قد أتخذ لنفسه أو اتخذ له القدر أسلوبا آخر... ».[2]

نجد أن "جمال الدين الشبال"، يبرر لنا عزيمة الرحالة العرب المسلمون في تعبير قدرتهم من خلال الترحال من أجل اكتشاف بلدان أخرى إلا أننا ننفي الدور الفعال الذي

1 جمال الدين الشيال، رفاعة الطهطاوي (1801-1873 م) ، دار المعارف، مصر، 1980 م، ص 05.
2 المرجع نفسه، ص 05.

يلعبه الأوربيون في تدوين أعمال الجغرافيين، تفاديا من الضياع، عملوا على نشرها ليتداولها القراء والدارسين والشرق على حد سواء.

وفي حديثنا عن الدراسات الشرقية نجد المستشرق الروسي "فلاديمير منيورسكي" كتب عن جغرافي العرب أنهم ملأ والفراغ وسدوا الفجوة الزمنية بين عهد "بطليموس" العالم اليوناني، وعهد " ماركوا بول " العالم البندقي.

وأن أخبار الرحالة العرب وقصصهم أكثر تنوعا وأشد حيوية وقوة مما نجده سطورا في كتب علماء " اليونان "وجد أولهم و أن علمهم الذي تضمينه كتبهم يمتاز بأنه أعظم اختيار، ونقدوا أكثرهم في التفاصيل، مما ورد في كتابات الرحلة " البندقي العظيم "، ماركو بول"، لعلنا نجد في السنوات الأخيرة تبلور اتجاه الأول بما هو سائد حاليا في الفكر العربي المعاصر من دعوة الفكر الجغرافي العربي الذي عام 1979 م، وكتاب "محمد محمدين" الصادر عام 1984 م، بعنوان التراث الجغرافي الإسلامي ».[1]

نفهم من كلام هذا المستشرق الروسي، أن الرحالة العرب أبدعوا من خلال خطابهم الرحلي ووصف أعمالهم بالشدة والقوة والحيوية، وأن هذا الأدب جاب دول العالم وحدد جغرافية كل دولة، استطاع أن يشير إلى آثار، والطرقات، في البر والبحر، وعرف بالحضارات من خلال تدوينه الرحالة لكل ما تراه عينه بالتفصيل، بالإضافة إلى ظهور اتجاهين في تناول أدب الرحلات في الفكر العربي المعاصر وذلك بدراسة الفكر الجغرافي العربي.

أما الاتجاه الثاني:

لم يلقي بعد، ذلك «عكس الاهتمام بالرحالة المحدثين فلقد كتبت الباحثة "نازك سابايارد " في مقدمة كتابتها الصادر عام 1979 م، بعنوان الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة "، «ما يفيد بأنها تتناول أدب الرحلات لأنه أدبي، وضع العرب في أدب الرحلة كتب جمة، ومجموعة المؤلفين فيه كأمثال المسعودي" و"ابن جبير" وابن

1 صلاح الدين الشامي، الإسلام والفكر الجغرافي الإسكندري، د ط، د ب، 1979 م، ص 125.

بطوطة "، فلقد اختارت الباحثة هذه الفترة القرنين التاسع عشر والعشرين، لأنه يضع أهم الفنون التي صورت احتكاك العرب بالغرب ».[1]

نجد أن " نازك سابايارد" ركزت على الجانب الجغرافي الإسلامي فقط، دون مراعاة أعمال المؤلفين المعاصرين إبان النهضة العربية، كما أهملت جوانب أخرى تاريخية واجتماعية وغيرها.

لا يمكننا التحدث عن تأثير رحلات العرب للغرب دون التوقف «عند "ابن بطوطة" وهو "محمد ابن عبد الله الطنجي"، بعد ما أتم دراسة للشعرية، قرر السفر خارجا، دامت أسفاره ثلاثين عاما، فكان قاضيا وفقيها، زار كل من "المغرب"، "السودان" و"فارس" و"الشام" و"الحجاز" و"الهند" و"الصين"، وأوسط إفريقيا حيث أقام أكثر من سنتين في الهند والصين وهو أول من تحدث عن استعمال الأوراق النقدية في الصين وعن استعمال الفحم الحجري في كتابه الشهير "تحفة النظار في غرائب الأمصار"، فرحلة "ابن بطوطة" كنص أدبي أكثر مما هو نص جغرافي وتاريخي كما اعتبره كثيرون فنصه يحتوي على الخيال والغرائبية والعامل الديني الذي يقوم بتوجيه المؤلف في أسلوبه وطريقة سرده للأخبار عن كلا العالمين الإسلامي والغربي» .[2]

وعلى هذا نفهم بأن أدب الرحلة تراجع في الدراسات الحديثة على الرغم من أهمية أنجزه القدماء من كتب الرحلة، وربما يعود السبب إلى تطور التكنولوجي، فهذا العصر نجد فيه أن يرتحل الإنسان من مكان لأخر لعدة أيام يمكنه أن يرى العالم في بضع ساعات وذلك من خلال ضغطها على كبسة زر فقط، وخاصة في عصر العولمة.

إضافة إلى تهميش أدب الرحلة في الساحة الأدبية، وطغيان القصة والرواية والتحقيق الصحفي والإعلام المرئي في مقدمة تلك الكتابات، إلا أننا ولا بد لنا أن نرجع للتراث العربي من أجل توسيع الأفاق الثقافية وإحياء ما قدمه لنا القدماء بغية تطويرها وتهجينه وذلك

1 شادي حكمت ناصر، ابن بطوطة وصناعة أدب الرحلة نسيج الواقع والخيال، شهادة ماجيستر، الجامعة الأمريكية، حزيران، بيروت، لبنان،2003م، ص 1.

2 نازك سبايارد، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، ص 09.

بإضافة الخيال في عناصر الرحلة مثلما استعمل سندباد الاستقطاب القراء، سواء في العالم العربي أو الغربي.

ومما سبق لقد تعرفنا على الدور الفعال الذي لعبه العرب في التعريف بالأدب الرحلي، وفي ازدهاره كما اعتبرت إنجازاتهم مصدر فخر للعرب في كل مكان، إلا أن هذا الأدب تراجم لعدة أسباب، ولعل أبرزها، تركيز النقاد على الأجناس النثرية كالرواية والقصة والإعلام المرئي، إلا أن هذا لم يدعه ولم يسمح له بالظهور ببعض البلدان العربية ولو بقلة، وعلى هذا نطرح بعض التساؤلات للإجابة عن موضوع أخر وهو هل عرفت الجزائر أدب الرحلة؟ وما دوره في إثراء أدب الرحلة؟ وما المصير الذي أل اليه اليوم؟

فالأدب الرحلي كان موجودا في الجزائر حسب الدراسات الحديثة منذ «القرنين عشر ولقد برز في النوع الأدبي عدة كتاب ونقاد، الذين خلدوا أسماءهم في الكتب التاريخية أمثال "أبو قاسم سعد الله" الذي لقب بشيخ المؤرخين الجزائريين، فهو باحث مؤرخ، حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم واللغة، وفقه الدين وهو من رحالة الفكر البارزين، ومن أعلام الإصلاح الاجتماعي والديني، فلقد أثرى المكتبة العلمية بنوادر، وتحقق فكرية كثيرة، فلقد عرف فن الرحلة نشاطا في القرنين الثامن عشر، وازداد في القرن التاسع عشر، وساعده على ذلك ظهور الطبع بدل التدوين الإخباري الشفوي، ولقد انقسمت الرحلات الشعرية» .[1]

ومن هنا نرى بأن أدب الرحلة وجد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وظهر في الجزائر وذلك من خلال مؤرخين ورحالو جزائريين، وقد تعددت دراساتهم وأبحاثهم، وقد عرف هذا الأدب نشاطا من خلال التدوين والطبع والإخبار الشفوي.

ثالثا: أدب الرحلات في الجزائر في القرنين الثامن والتاسع عشر

أ-القرن الثامن عشر:

تميز هذا القرن برحلات أدبية ومنها:

1-الرحلات الشعرية:

هي رحلات قام أصحابها بتدوينها «أو نظمها ومن أمثلة الرحلات الشعرية رحلة "محمد بن المسايب التلمساني" في مكة المكرمة إعراجا على المدينة كذلك رحلة "أبو عثمان

1 https//art.wikipidia.org.2020-03-24/18:20

بن سعد بن عبد الله المنداسي" بالمغرب الأقصى"، وبعد عودته على الحجاز ومن الرحلات الشعرية المكتوبة باللغة الفصيحة، قصيدة "محمد منصور العامري التلمساني» .[1]

ومن هنا نجد أن هذه الرحلات الشعرية، كانوا الرحالة يقومون بتدوين رحلاتهم في شكل قصائد وأشعار يقوموا من خلالها بالتأثير في المتلقي، وكانوا يكتبونها باللغة العربية الفصحى.

2- الرحلات النثرية:

تعد هذه الرحلات من أهم الرحلات التي «ذاع صيتها نجد رحلة " أحمد بن عمار نحله للبيب " بأخبار الرحلة إلى الحبيب، فأقدم هذه الرحلات هي رحلة "ابن حمادوش" المسماة "لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال"، وقد باشر كتابتها في عام 1773 يتحدث عن المغرب الأقصى الذي بدأت الرحلة إليه على ظهر سفينة استأجرها تجار جزائريين» .[2] ومن هنا نرى بأن الرحلات النثرية كانت أغلبها رحلات بحرية قصد التجارة.

ب- القرن التاسع عشر:

عرف القرن التاسع عشر، نماذج للرحلات اختلفت مساراتها، تعددت مقاصدها كما اختلفت أهمية أصحابها الفكرية والسياسية التي اكتسبت طابعا سياسيا في شكلها العام تتضمن:

1-الرحلة الحجازية:

يمثل هذه الرحلة " الأمير عبد القادر" الذي سافر إلى الحجاز والتي تضمنت «مسيرته الذاتية في كتابه" مذكرات الأمير عبد القادر الجزائري" الذي ذكر فيه بأنه جال عدة بلدان أن هنالك منها: "الشام"، "بغداد"، الإسكندرية ..... كما تحدث فيه عن زيارته الأولياء الله الصالحين والأضرحة والثقافة المكتسبة له نابعة من مجالسته لعلماء أخرين، وتتميز الرحلة في هذه الحقبة تصوير الواقع كما هوا اعتمادا على مشاهداتهم دون إضفاء الجانب البلاغي

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(1500 -1530) ، دار الغرب الإسلام، ط2، بيروت،1990، ص 388.
2ابن عمار أحمد، نبذة فن الكتابة المسمى نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة بيروت،ط1،فونتاتة الجزائر،1902 م،ص 03

في حين نجد مؤلفات أخرى تعني برصد الواقع ونقل الصور والمشاهدة وتعتمد على التأثير الوجداني والعواطف فتناقض الآن هؤلاء الأولياء الصالحين يشكلون رجال صالحون لهم القدرة على القيام بأعمال خارقة» .[1]

نستخلص من هذا الكلام أن الرحلة الحجازية التي قام بها الأمير عبد القادر، فقد وصف من خلالها بلاد الحجاز من أثار وأضرحة وأبنية، وقد طغى على خطابه الرحلي العنصر البلاغي وذلك برصده صوره واقعية لا يتخللها الخيال ومشاهدة رآه بعينه وهدفه من الخطاب التأثير في المتلقي.

الرحلة في القرن العشرين:

إن الرحلة في هذه الفترة اتجهت أكثر إلى داخل الوطن، وخاصة تلك التي قام بها رجال الإصلاح، ودعوتها إلى النهضة ولقد لعبت الزوايا دورا هاما في هذا القرن «إذا كانت الزاوية في القديم تقوم بأغراض عديدة منها تقديم دروس في اللغة العربية، المحافظة على الدين الإسلامي في عصر الجهل، محاربة المستعمر، فالزاوية هي التراث الثقافي العريق يغذي النظام الاجتماعي، ووجهه كما كانت تشكل السلطة الرجعية التي تتولى حماية المجتمع من انحلال أخلاقي داخل الوطن والدفاع عن كيانه ووجوده خارج الوطن»[2].

ومن هنا نفهم بأن الرحلة في هذا القرن، كان هناك انفتاح على الخارج، بهدف التعلم والتعليم والإفادة والاستفادة من العلوم الأخرى، والتعريف بالدين الإسلامي وإثبات الهوية الوطنية، ومحاربة المستعمر، والدفاع عن الوطن خارجا.

وفي الأخير نستنتج أن أدب الرحلة والرحلة في حد ذاتها إلى التعريف "بالجزائر" وعكس صورة مجتمعه الجزائري وعادته وكشف انتماء ثقافة شعبه ومعالمه الحضارية، إلا أنه همش ويكاد أن يكون نادرا وهذا ما تطرقنا إلى ذكره "جريدة النصر" بعنوان "أدب الرحلة همش في الجزائر رغم قيمته الكبيرة "«فلقد كان في وقت سابق بمثابة العين التي يرى بها القراء من خلال انطباعات الرحالة وكتاب والأدباء الذين كتبوا وخلدوا رحلاتهم في بقاع

1 محمد الطاهر عدولي، تعود المقاومة والثورة التحريرية المنعقدة بجامعة اسبانيا، وهران يومي 25-26، منشورات وزارة المجاهدين – الجزائر 2007، ص 81.

2 سعيد بوطاجين، أدب الرحلة همش في الجزائر، كراس الثقافة، العدد2، نشر بتاريخ 20 تموز 2015، تاريخ الاطلاع 2020/02/17.

العالم التي زارها لسبب من الأسباب، أما اليوم فقد اختفت العين التي أصبح يرى بها الناس العالم كما أن معظم الكتاب في الجزائر رغم سفرياتهم الكثيرة والمتتالية لا يستمرون في رحلاتهم فعزوف اهل الاختصاص، لهذا النوع من الفن أدى إلى ندرته» .

وبهذا نجد أن أدب الرحلة في الجزائر لا يرجع فقط على عزوف اهل الاختصاص عن هذا النوع بل تهاون إلى الأجيال في البحث عن التراث الذي خلقه لهم أسلافهم، وذلك يرجع بدروه إلى التطور التكنولوجي الذي كان السبب الرئيسي في اختفاء الرحلة، فبدل أن يرتحل شهرا أو شهرين يمكنه الوصول إلى أبعد منطقة في الكرة الأرضية ببضعة أيام فقط.

الفصل الثاني

تشكيلات الرحلة في رواية جزائري في الأندلس.

قراءة في الفضاء والدلالات

- **تمهيد**
- **أولا : سيمائية العنوان**
- **ثانيا: آليات السرد الرحلي**
- **ثالثا: مكاشفات في مسارات عوالم الرحلة ودلالتها**

تمهيد:

تعتبر رواية جزائري في الأندلس بمثابة تذكرة سفر مجانية إلى إسبانيا، بحيث بدأ رحلتنا روايته بالتحدث عن استقراره في مدينة وهران، وأسباب اختياره لمدينة إسبانيا، ثم استعداده لارتحال ووصوله إلى وجهته التي قام بوصف كل ما شاهده فيها . في صورة جمالية غاية في الدقة سعى من خلالها للبحث عن معالم الأندلس المفقود.

استخدم "سفيان مقنين" أسلوبا جديدا في نقل تفاصيل رحلته وسرد الأحداث التي صادفها فأخذنا في جولة تاريخية لأعظم دولة إسلامية، والتي بالرغم من سقوطها لازالت واقعة بمعالمها العظيمة الشاهدة على براعة المسلمين في البناء والهندسة والتصميم، وبهذا يتبادر إلى أذهاننا الإشكال الآتي: هل اتبع "سفيان مقنين" نهج الرحالة الكلاسيكيين في وصف رحلته ونقلها للمتلقين؟

في محاولة الإجابة عن الإشكال ارتأينا إلى خطة اتباعها للفصل الثاني عنوناه بتشكيلات الرحلة في رواية جزائري في الأندلس قراءة في الفضاء والدلالات، ينطوي تحت هذا العنوان اربعة عناصر رصدناها في بحثتنا، تبدأ بتمهيد أما يليه سيمائية العنوان، ثانيا آليات السرد الرحلي وثالثا مكشافات في مسارات عوالم الرحلة.

أولا: سيمائية العنوان:

اختار "سفيان مقنين" عنوان "جزائري في الأندلس "لروايته بحيث ان هذا العنوان له حمولات سيمائية عديدة «والتي تتمثل في كلمتي "الجزائر" و"الأندلس"، والأصل أن يقول "إسبانيا" بدل الأندلس، وذلك لسقوط "الأندلس" على يد الإسبان في " منتصف القرن السابع الهجري والثالث عشر الميلادي»[1]. وبهذا سميت "إسبانيا" بدل "الأندلس" كما ذكر كلمة جزائري باعتبار "الجزائر" اسم جديد أطلق على المغرب الأوسط، اختياره "الأندلس" بدل "إسبانيا" والجزائر بدل "المغرب الأوسط"، راجع لدلالة سيمائية وحيث قصد من رحلته البحث عن معالم الحضارة الإسلامية التي لازلت لسانا ناطقا يشهد بتوفق براعة أهلها.

أما كلمة جزائري تدل على مدى ارتباط الدول العربية بأصلها حيث أنها من منبع واحد وتاريخ مشترك، وموروث ثقافي واحد تجسد عبر مراحل التاريخ باسم الحضارة الإسلامية ورحلته هذه بمثابة نافذة الاطلاع على الموروث الثقافي والفكري والجمالي لبلاد المسلمين عبر التاريخ، وهذا ما جعله يصفها بـ"فردوس المسلمين" حيث ان الأندلس درة في الجمال وصورة تجسد المعالم الثقافية والدينية والفكرية للمسلمين بشكل عام.

كان الدافع وراء زيارة "سفيان مقنين" للأندلس استقراره في مدينة وهران وقربه الجغرافي ومنها حسب ما جاء به في قوله: «لم يتضح في رأسي أن أزورها إلى بعد أن اقتربت منها جغرافيا باستقراري في وهران واقتربت مني وجدانيا .... لذلك قررت أن أسافر لزيارة بلد نشترك معه في تاريخ طويل».[2]

رواية "جزائري في الأندلس" تعتبر ديوانا للحضارة التي بناها المسلمون، والتي امتدت لأكثر من ثماني عقود، وصارت حلم ملايين من السياح الذين يزورن إسبانيا حاليا لمعرفة الحضارة الأندلسية القديمة التي تعتبر هوية المسلمين الذين فتحوها بقيادة طارق بن زياد حسب ما جاء به "جرجي زيدان": «أما ألفونس ويوليان.. لطارق ونبذة حتى أتم فتح "الأندلس" وقلما لاقى مشقة بعد تلك الموقعة إلا في أسحته فإنهم سارو إليها وبعد موقعه

1 محمد عبده حتاملة ،الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، عمان الأردن، 1420،2000 م، ص08.

2 سفيان مقنين، جزائري في الاندلس، رحلة إلى الفردوس الموجود، (ط01)، الجزائر، 2019، ص 12.

... وحاربوا هناك حربا شديدة فلما فتحوها وقع الرعب في قلوب الناس أخلوها وساروا إلى العاصمة» .[1]

سعى "سفيان مقنين" إلى استحضار تاريخ المدن الإسبانية التي زارها من خلال جولاته الاستكشافية التي قام بها في أرجاء البلاد مع مراعاة القيم الفكرية والدينية التي تضمنها ولقد سرد كل ذلك بأسلوب بسيط وسهل ويلائم كل فئات المجتمع، مستخدما لغة غير متكلفة وسرد خال من الزخرفة اللفظية، بخيال منقد وحواس يقظة مثلما جاء في قوله أثناء زيارته الحديقة في مدينة "قرطبة" : «عرفت من الرجل المغربي والذي كان أكبر سنا أن هذه الحديقة كانت ثكنة عسكرية تم تحويلها إلي حديقة عمومية منذ سنوات وأن هذا المسجد كان مخصصا لجنود الفيلق المغربي أو ما يعرف بفرقة " الريغولاس»[2] .

ثانيا: آليات السرد الرحلي

وظف الراوي آليات عديدة للسرد في روايته ليتمكن من سرد أحدث رحلته والتي أهمها:

أ- هيمنة بينة السفرة:

استخدم الرحالة عبارات كثيرة تدل على استعداد للسفر وقيامة بالرحلة، كعبارة «وتنطلق السفينة"، شد الكاتب من خلالها انتباها إلى أن الرحلة ستبدأ، وكأنه يخبرنا بشدة الرحال، ارتداء حزم الأمان لأن الرحلة تنطلق، أما في العبارة التي كتبها باللغة الفرنسية

"restons, c'est existée voyager c'est rire»[3]. وقصد بها أن السفر هو الحياة هوما يجعل لها معنى من خلال عيش فرض وتجارب جديدة لاكتشاف نفسك أولا ثم العالم.

ب- هيمنة الوصف:

تجلى في وصفه للأماكن السياحية التي زارها كقصر الحمراء، بحيث وصفة وصفا دقيقا كما وصف الشوارع التي مر بها في «اكانت الشوارع نظيفة تعطف فيها الأشجار

1 جرجي زيدان، فتح الاندلس، هندواي للتعليم الثقافي، مصر القاهرة 2012/08/26، ص 294.

2سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص99.

3المصدر نفسه، ص14

الورود الحمراء، أما وجهات المباني فهي متناسقة وجميلة المدينة هادئة وسكانها باطمئنان باد على الوجوه أنها تعج بأكثر من مائتي ألف نسمة حاليا ».[1]

فقد كان رحالين يصف كل ما تشاهده عيناه وصفا دقيقا، ويقوم بالمقارنة بين الأندلس وكيف هو الإسلام اليوم في الجزائر، وهذا ما جعله يختلف عن الرحالة الكلاسيكيين الذين كانوا يقومون بالرحلة ويوظفون الوصف الأجل الوصف فقط، بينما "سفيان مقنين" استخدم الوصف بالتذكير بمراسلة الغرب ضد الإسلام، وأن سبب تطورهم راجع لما نهلوه من المسلمين في حين أن المسلمين لم يتمكنوا من استغلال ما تركه أسلافهم.

ج-السرد:

يتجلى توظيف الكاتب للسرد من خلال خصائص الكتابة الرحلية المتمثلة في:

1-الذاتية:

تحضر ذات الكاتب حضورا بارزا في رواية، «حيث وصف المعالم الحقيقية بفعل مشاهدات عينية، فالرحالة هو نفسه الكاتب ويتجلى في توظيفه للأفعال المضارعة الآتية: استعنت، قمت، خرجت، التقطت...»[2] .

2-مسار الرحلة:

ذكر الكاتب محطات سردية لرحلته كتأهب في قوله: «تأكدت من سلامة الأمتعة وتحسست تذكرة الحافلة فيجيبني ثم انطلقت مشيا نحو محطة حافلات المرية»[3]، وطريق الذهاب قام بسرد ما صادفه أثناء طريقه، وخلال رحلته «ميناء وهران على ضخامته لا يملك إلا رصيفا وحدا لمغادرة بواخر المسافرين»[4]، ثم الوصول وأخيرا الأسباب الذي سرد فيه شعور أثناء العودة من رحلته.

3- دراسة الرحلة:

ذكر الروائي في هذه المرحلة أدق التفاصيل استعداده للرحلة بدءا من مبلغ الرحلة جواز السفر، الحجوزات، ساعة الإبحار، الميناء، السفينة، الفندق، تعلمه للغة الإسبانية كما

1سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص44.

2 المصدر نفسه، ص40.

3المصدر نفسه، ص 40.

4 المصدر نفسه، ص 19.

جاء في قوله «عند الثانية والنصف صباحا درات محركات الباخرة بقوة وبدأت تتحرك بنا لتخرج من حوض الميناء الضيف إلى رحابة البحر المتوسط ».[1]

4-مرحلة الانطلاق:

يتضمن المشاهدات والأحداث الواقعة ضمن الفضاء الزماني والمكاني قام الرحالة بوضع أدق التفاصيل التي شاهدها في طريقه.

5-الوصول:

تحديد الرحالة لزمن ومكان ووصول، وتسجيله لما شاهده أثناء وصوله ومغامراته في الفضاء المرتحل إليه، بعد قضائه سبع ساعات في الباخرة ودخولها ميناء "ألمرية".

2-العودة:

يصل رحالتنا إلى آخر محطة في رحلته متحدثا عن شعوره، وهو يغادر إسبانيا، ليعود إلى وطنه من محطة وصوله "ألمرية"، ليجعلها محطة وصول ورجوع، حاملا في داخله صورا أجمل في الوقع حسب قوله «عدت إلى القاعة لأضع رأسي فوق حقيبة الظهر وأستلم المرور بعض الذكريات، حيث تعرفت على مناظر وتجولت في أماكن لم يخطر ببالي أنني سأزور بهذه السرعة والسهولة، بعدما كانت أقر عنها أو أتخيلها، أو في أحسنت الأحوال أشاهدها عبر الأشرطة الوثائقية، الوقع أنها بقدر ما كانت ساحرة فقد كانت أجمل في الوقع»[2].

أشار الكاتب إلى أنه لم تكن لديه نية في زيارة "إسبانيا" قبل إلا بعد استقراره في وهران ومقابلتها عللا الضفة الأخرى، وقد كانت له دعوة مريحة للمتلقي والانضمام إليه في رحلته وبعد رحلته تغيرت نظرية وأبدي إعجابه بإسبانيا وأماكنها وسكانها، وهنا يطرح السؤال نفسه، **لماذا أصبح هذا الجزائري منبهرا بهذا الشكل بالغرب بعد أن كان أسلافه أسياد له؟**

ذكر الكاتب عدة تسميات مشتركة بين مدينة "وهران" و"الأندلس" و"إسبانيا" والتي أهمها تداخل اللغة الإسبانية باللهجة الوهرانية، البوصلة، كلفته، وكذلك القرب الجغرافي بين "وهران" و"إسبانيا"، وكذا طبيعة الحياة اليومية أما الجانب التاريخي فذكر وقائع تاريخية تؤرخ لفترة كان فيها المسلمون يحكمون الأندلس والأثار والشواهد التي خلفوها ورائهم من

1 سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص 22.

2المصدر نفسه، ص 159.

حبات وجوامع والتي حافظ عليها الإسبان على مر الزمان، عكس الآثار الباقية في وقتنا الحاضر في الجوائز إذ مر معظمها وشوه معظمها الأخر.

ثالثا: مكاشفات في مسارات في عوالم الرحلة ودلالاتها:

"وهران" ليست لمن يسكنها وهران لمن تسكنه

- **On ne nait pas oranais… on le devient.**

استهل الكاتب هذا العنصر بقوله بأن هذا الشعور الذي يلازم من يسكن هذه المدينة، حتى وان لم يكن أصله منها، فهي تحتضنك بلا شروط ولا اعتبارات أخرى عن أصلك ولا مسقط رأسك، وهذا ما قصده في جملته الأولى بأن وهران ليست لمن يسكنها، وإنما لمن تسكنه وتضمه لها.

كما أشار إلى طبيعة سكانها الكرماء والطيبين في تعاملاتهم، وعفويتهم في الكلام، وبعد ذلك انتقل إلى طبيعة لهجتهم المأخوذة من اللغة الإسبانية، واشتراكهم في التاريخ بسبب احتلال الإسبان "لوهران" وتمسكهم بها، في قوله (وهران هي أكثر المدن الاسبانية في "الجزائر"، فقد مكث فيها الاسبان قرنين وستين عاما لم تنقطع الى خمس وعشرين سنة إبان القرن الثامن عشر حاصرهم "الباي بوشلاغم" لمدة طويلة...)»[1].

ثم لم يلبثوا أن استعادوها من العثمانيين من جديد حتى بعد الاستعمار الفرنسي أبوا تركها فكان أغلب سكانها ذو أصل إسباني.

أشار الكاتب الى أنه لم تكن له نية في زيارة "إسبانيا" من قبل الا بعد استقراره في "وهران"، ومقابلته على الضفة الأخرى، وبعد رحلته تغيرت نظرته وكانت له دعوة صريحة في آخر هذا العنصر للانضمام في هذه الرحلة.

وتنطلق السفينة...

Rester, c'est exister, Voyager, c'est vivre

ويهدف الكاتب من عبارته الأولى إلى شد انتباهنا، إلى أن الرحلة ستبدأ، وكأنه يخبرنا بشد الرحال وارتداء حزام الأمان استعدادا للانطلاق، أما العبارة التي كتبها باللغة

1 سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص8

الفرنسية قصد الكاتب القول بأن السفر هو الحياة ويجعل لها معنى، فمن خلاله يستكشف نفسه أولا ثم العالم.

وقبل انطلاق رحالتنا لرحلته واجه العديد من الصعوبات، أهمها جواز السفر، التأشيرة، ارتفاع أسعار الصرف، والحجز في الفندق.

ها هي رحلته تنطلق في **10 سبتمبر 2017** مبحرا من ميناء "وهران" في منتصف الليل بعد أن اوصله صديقه في العمل، وقتنا بطاقة ركوبه، على متن باخرة ترانسميديتيرانيا التي انطلقت عند الثانية والنصف صباحا نحو "ألميرية الإسبانية"، وهاهي السفينة في **11 سبتمبر 2017** قرابة منتصف النهار، وبينما كان "مقنين" يتأمل في البحر تراءت له من بعيد "جبال شبه الجزيرة الأيبرية" معلنة قرب الوصول الى اسبانيا.

ألميرية محطة وصول وانطلاق

Qui prend garde à chaque nuage ne fait jamais voyage.[1]

"ألميرية" محطة الوصول إلى "أوروبا"، وبداية الرحلة التي خطط لها الكاتب، أما العبارة الثانية بمثابة نصيحة بحيث يقول للقارئ إذا كنت خائفا في كل خطوة لا تسافر، لأن متعة السفر تكمن في المغامرة والتلقائية، أشار الكاتب في هذا الصدد الى مصدر خوف كل مسافر، المتمثل في شرطي الحدود الذي بإمكانه رفض مرورك والدخول إلى أوروبا، وإعادتك من حيث أتيت.

وصل "مقنين" إلى "ألمرية"، وتوجه الى فندق la perla بعد انتهائه من إجراءات الوصول، ووضعه حاجياته في غرفته انطلق في جولة لاستكشاف المدينة، أظهر رحالتنا إعجابه بطرقات المدينة المنظمة، وأسواقها النظيفة، ومواعيد الوقت المضبوطة عندهم، ولم ينس إقتناء تذكرة القطار للذهاب الى مدينة غرناطة قبل عودته للفندق ليستريح.

يوم الثلاثاء **12 سبتمبر2017** مع بداية الصباح انطلق رحالتنا ليبدأ جولته التي بدأها من سوق المدينة القديم، الذي يشبه متحف كما قال من حيث تنظيمه، وأقسامه، ونظافته، ثم المدخل، ملجأ الحرب الأهلية، بعده الى خزان القديم للمياه، قد تحول إلى

1سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص24.

معرض اللوحات الفنية، ليذهب الى الملجأ تحت الأرض، وشراء تذكرة لمشاهدة فيلم تاريخي لمعرفة تاريخ "ألميرية".

ألميرية تاريخ تحت الأرض وتاريخ فوقها:

Il voyage plus vite celui qui voyage seul.

وهنالك دعوة صريحة من الكاتب للسفر وحيدا لما في ذلك من سرعة واختصار للوقت والسيولة.

أمضى "سفيان مقنين" في جولته رفقة المرشد السياحي، وبعض السائحين ما يقارب 45 دقيقة داخل ملجأ تحت الأرض، وقد رأى فيه شبها بينه وبين وهران المتمثل في متاهة الأنفاق، وفي احتضانها اللاجئين من الخطر المحدق بهم، في تمام **الحادية عشر إلا ربع** خرج إلى سطح الأرض متوجها بعدها إلى "قصبة ألميرية" مستحضرا تاريخ هذه الأخيرة، مستمتعا بمناظرها في الأسفل، وهو يراها من الأعلى.

عند قرابة منتصف النهار ونصف، خرج متوجها الى الفندق لأخذ حقائبه، وبعده إلى محطة الحافلات المتوجهة إلى "غرناطة"، والتي دامت نحو ثلاث ساعات مبديا إعجابه بالمناظر التي رآها في الطريق من وديان جافة وجبال، وكذلك المراوح الضخمة التي كانت متوجة على رأسها توليد الكهرباء، ليتغير المشهد شيئا فشيئا إلى غطاء نباتي وأشجار، فما كان منه إلا تذكر الحكمة التي قيلت عن المكان « **لا يوجد شيء ألما في الحياة من أن تكون أعمى في غرناطة»**[1].

ويقصد الروائي بهذا القول بأن الأعمى هو من لم يرى المعالم التي خلدها أجدادنا في تاريخ الأمة العربية وتغافل عنها ولعل من أبرزها غرناطة التي تعتبر متحف تاريخ.

غرناطة أو حين يتسع المعنى وتضيق العبارة.

The world is a book and those who do travel red only one page.

حسب الكاتب بأن العالم كتاب، ومن لم يسافر لم يقرأ فيه إلا صفحة واحدة، وهي مكان الذي يوجد فيه وبلده الحالي الذي لا يعرف ولا يحفظ سواه.

1سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص42.

بعد عناء السفر وحجز تذكرة للذهاب الى قرطبة بعد يومين، وكذا الإلمام حجوزات الفندق، خرج كاتبنا متوجها الى مكتب الديوان السياحي في غرناطة، لشراء تذاكر من أجل الدخول الى قصر الحمراء دون دخول قصر " بني نصر"، ورغم كل هذا استمتع واعتلت على وجهه ملامح الرضا عند وصوله " لحي البيازين" المقابل لقصر الحمراء ومقابلته لرسام شاب قام بإعطائه رسما للقصر، ليستقر بعدها في حديقة صغيرة ليتأمل "قصر الحمراء" والتي لم تكن سوى" الساحة الخارجية لجامع غرناطة".

الأندلس... الفردوس المفقود.

- **Qui n'a pas quitté son pays est plein de préjugés.**[1]

نستخلص من قول الكاتب بأن من لم يغادر بلده فإنه يكون مليئا بالأحكام المسبقة، وذلك لأن السفر يبين للملأ حقيقة الأمور فإما تؤكد نظرتك السابقة أو تدحض تلك الأفكار، السفر رؤية للأمور على حقيقتها دون ترك المجال لأية احتمالات أو تشكيك، فإن كان الخيال جميل فإن الواقع عند السفر أجمل.

أخذنا الكاتب في جولة دون تأشيرة في مسجد غرناطة حاكيا قصة انشائه، والصعوبات التي واجهها المسلمون قبل وأثناء بنائه، وذلك لتعدد أديان العامة، وتعدد مفهوم الإسلام بصفة خاصة، والتعصب بعد الفرق، وكذا مشكل ترخيص بنائه والحصول على تمويل بنائه، صلى رحالتنا فيه واتجه إلى أحد المطاعم وتناول الوجبة لإسكات جوعه، وكان قد التقى فيه بعربيين أحدهما كان جزائريا.

عاد الكاتب إلى الفندق لأخذ قسط من الراحة والنوم استعدادا ليوم الغد، وأخذ يطالع بعض كتب التاريخ متوغلا في أحضان تاريخ فتح الأندلس من أجل استدعاء سلطان النوم.

في صباح 13 سبتمبر2017 توجه "سفيان مقنين" إلى قصر الحمراء مشيا، ليصل في تمام **السادسة والربع** ليتفاجأ بعدد كبير من السياح أمام المدخل من مختلف الفئات والجنسيات لينضم رحالتنا إليهم في الطابور ويلاحظ زوجين قبله يتحدثان فيشارك معهما في الحديث.

1سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص 51.

الأندلس الحضارة التي أبهرت الغرب والعرب معا، والتي تعتبر بمثابة جنة فوق الأرض التي استغلها الغرب في تحقيق مكاسبهم، ولعل أكثر ما يظهر لنا عزيمة الأسلاف في بناء مسجد غرناطة على الرغم من المشاكل التي واجهوها أنا ذاك مازال يذكر العرب بخبث الغرب ونواياهم السيئة اتجاه المسلمين.

لا غالب إلا الله.

-Quien no ha vistoGranada, no ha visto nada.[1]

نفهم من خلال مقولة الكاتب بأن من لم يسافر ويرى غرناطة فيعتبر نفسه لم يسافر قط، فهو في نظره أجمل مكان رآه، واستمتع فيه، كما يرى بأن من يرى غروب الشمس في غرناطة، يختلف كل الاختلاف عن كل ما رآه في مكان آخر.

بعد طول انتظار صاحبته خيبة أمل بعد ذلك (بعد إعلان مفاد التذاكر العامة) فما كان على رحالتنا شراء التذاكر المتبقية، واكمال جولته في "قصر الحمراء"، لكن ذلك لم ينقص من عزيمته ولا استمتاعه في مختلف المعالم السياحية التي يضمها القصر، فكانت أولى محطاته **القصبة** التي تتمثل في حصن عسكري يمكنك من رؤية أحياء غرناطة، ثم توجه بعدها الى **قصر شارل الخامس** آخذا على ناصيته مهمة اطلاعنا على سره.

وتاريخ انشائه ووصفه لنا، ولعل أهم ما شد انتباهه كلمة أو جملة " **لا غالب إلا الله**" التي كتبت عند كل مدخل وجدار وسقف، حاكية قصة **محمد بن يوسف بن نصر** عندما عاد منتصرا فهتفوا له: **الغالب** فرد عليهم **لا غالب إلا الله** لتخلد هذه العبارة عندهم.

يأخذ "سفيان مقنين" بعدها بأيدينا وعقولنا ويكمل لنا جولته السياحية في قصر الحمراء، وحدائقه الجميلة المختلفة " **الأوروبية والإسلامية** " ليصل بنا بعده الى قصر "**يوسف الثالث**" وبعد مضي **سبع ساعات** أخذ منه التعب ما أخذه، فعاد الى الفندق لأخذ قسط من الراحة، ليتوجه بعدها لمشاهدة غروب الشمس في المسجد الجامع.

هنا يبرز لنا الروائي" سفيان مقنين" الفرق بيننا وبين الأوروبيين في المحافظة على المعالم الأثرية، التي لازالت حاضرة من القدم، وكأنها بنيت حديثا، والتي لو كانت في "الجزائر" لاندثرت.

1سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص61.

فكل معلم يحكي لنا قصة، وقصة لا غالب إلا الله تذرنا بنصر "محمد بن يوسف" الذي عاد منتصرا وردد مقولته الشهيرة: لا غالب إلا الله التي أصبحت مخلدة في تاريخ الأندلس قديما و"إسبانيا" حديثا، والتي تعتبر بمثابة اعتراف الغرب بحكمة العرب.

ليس سهلا أن تغادر غرناطة الا إذا دعتك "قرطبة".

- **Voyager est la seule chose qu'on achète qui nous rend plus riche.**

من وجهة "سفيان مقنين" فإن شراء تذكرة السفر الشيء الوحيد الذي يجعلك غنيا، وأن ما تنفقه عليه لا يقارن بما ينتظرك من معارف، وأماكن تنسيك أعباء تكلفته، بملغ زهيد ورمزي مقابل ما ينتظرك.

بعد الخروج من جامع غرناطة، والمرور لشراء بعض السندويشات لإسكات الجوع، قام كاتبنا بالتوجه الفندق لأخذ قسطا من الراحة استعدادا لمغامرة الغد.

في تمام الثامنة والنصف**14 سبتمبر 2017**، استيقظ دليلنا السياحي "سفيان مقنين" وقام بأخذنا معه في جولة أخيرة في مدينة غرناطة قبل التوجه الى **قرطبة** فذهب بنا إلى مدينة" **الرملة أبيب**"، بعدها "**كاتدرائية غرناطة**" ليجد بعدها أن الوقت يداهمه، ويجب عليه الإسراع حتى لا تفوته الحافلة ليعود الى الفندق وبعد سباق مع الزمن استطاع الوصول في الوقت المحدد قبل إقلاع الحافلة المتوجهة إلى قرطبة، وبعد مدة جلست بجانبه فتاة شابة إسبانية أخذ يتجاذب معها أطراف الحديث إلى أن وصل إلى وجهته المنتظرة قرطبة، ليقوم بعدها بالتوجه إلى الفندق والحجز فيه في ليلتين، ثم الاستحمام قبل القيام بجولة في المدينة.

عند أسوار"قرطبة".

Le voyage est le meilleur moyen se perdre et de se retrouver en même temps.

ومن هنا نرى بأن السفر الوسيلة الوحيدة التي تمكنك من الأخذ والعطاء، وذلك لما فيه من أفكار وثقافات وأحاسيس، بقدر ما يأخذ منك من جهد ومال ووقت فهو يمدك بمعارف ويحكي عالم مخفي ويفتح آفاقا جديدة حول عالم لم تره من قبل تابع رحالتنا الجولة الاستكشافية لشوارع "قرطبة" بمبانيها ومنازلها الصغيرة وشوارعها القديمة التي تشعرك بالحنين والمودة، بعد عشرون دقيقة مابين الخروج من الفندق والوقوف عند السوار الخارجي لجامع قرطبة.

قرر بعدها العودة غدا صباحا لاستكما جولته "لجامع قرطبة"، وذلك اقتصاد للنفقات إذ يكون الدخول متاحا مجانا في الصباح، وفي طريق العودة قرر زيارة حي "**باسيليو**" الذي تشبه أحياءه أحياء العربية، شعر رحالتنا في الجلوس والراحة بعد عناء مشي طويل أمام بركة الماء خارج أسوار المدينة القديمة مستمعا إلى الموسيقى الأندلسية بصوت المطربة نبيلة معن.

عند حلول المساء توجه "سفيان"إلى أحد المحلات التركية لتناول وجبة تسد جوعه وبعده التوجه إلى الفندق للاستعداد للغد.

حاضر قرطبة الذي يتعطر بماضيه.

Le véritable voyage de découverte ne consiste pas à chercher de nouveaux paysages, mais à avoir de nouveaux yeux.[1]

ومما يلي نرى بأن السفر الحقيقي ليس في إيجاد الأماكن والبحث عنها، إنما في تقديمها برؤية ومنظور جديد، فهو يكمن في التركيز على الموجود لا البحث عن المفقود.

15 سبتمبر 2017 تناول سفيان فطوره واستأنف جولته في جامع قرطبة كبير عند وصوله وجد السياح يتجولون بين أعمدة المسجد الذي بني داخل كنيسة كاتدرائية التي بناها هندوس وشارل الخامس، وقاموا بمنع المسلمين من الصلاة في المسجد، رغم ثبوت صلاة الشاعر محمد اقبال فيه سنة 1939 م، وكذا صدام حسين سنة 1974 م بعد مضي **ساعة** خرج كاتبنا من مقررا زيارة باقي المعالم السياحية في قرطبة.

فكانت محطته الأولى **قصر الملوك المسيحيين** الذي رغم مرور السنين ما يزال يحتفظ بطابعه الإسلامي كما تميز بحدائقه وأزهاره المختلفة، بعد ذلك توجه إلى حي يهودي **خوردية الذي يبرز** تاريخ اليهود الموجودين في إسبانيا ومحاولتهم المستمرة لإثبات وجودهم سواءً في ماضي اسبانيا أو في حاضرها أو في مستقبلها، فقام بزيارة كنائسهم التي يسمحون بالدخول اليها بالمجان.

في منتصف النهار استلقى "سفيان مقنين" فوق الحشيش خارج سور المدينة القديمة لينعم بقسط من الراحة، بعدها عاد إلى الفندق وأخذ حماما منعشا قبل الخروج والذهاب إلى

1سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص86.

مدينة "إشبيلية" وفي المساء قام بالتجول في المدينة القديمة، وقد أشار الى أجمل مكان في نظره للتنزه في مثل هذا الوقت هو القنطرة.

ومنه فقرطبة هي المعلم الأثري الوحيد الذي يظهر لنا خبث الغرب، الذي حافظ على البنية الخارجية للمسجد وكنيسة من الداخل، ومنح تذكرة مجانية دون غيره من المعالم الأثرية بغية التعريف بدينهم للعالم.

غبار التاريخ العالق في نافذة المستقبل

Les voyages forment l'esprit et rectifient les idées.[1]

يظهر لنا بأن للسفر متعة الروح وتجديد الأفكار لماهية الأماكن ورؤيتها وفق منظور جديد خاصة جامع قرطبة، قام بجولته الأخيرة، وقد أثار في نفسه عدة تساؤلات حول كون الإسلام والنبي يفتخران بالحال الذي آل اليه الوجود الإسلامي والمسلمين.

توجه إلى أحد المتاحف المتواجدة بجانب الحي اليهودي والذي شمل داخله آلات التعذيب بأنواعها، ومن ثم عاد إلى الفندق وجمع امتعته، وذهب للاستفسار عن بيت الشباب قد رأى أثناء تجواله ثم توجه إلى أداء الصلاة الذي تعرف من خلاله بالإمام المغربي كان قد أخبره أنه كان ثكنة عسكرية قل أن يصبح مسجدا، قبل أن يودعها ويعود إلى الفندق، وحمل حقائبه متوجها إلى الحافلة المتوجهة إلى **اشبيلية**.

تحت سماء اشبيلية

L'homme qui veut s'instruire doit lire d'abord, et puis voyager pour rectifier ce qu'il a appris.

ومنه لكي تكتب عن المكان ينبغي لك القراءة عن، ثم السفر إليه لتكوين الانطباع المناسب، وتقوم بعدها بتوثيق ذلك بالكتابة كي تبقى محفوظة في الذاكرة، فالقلم أن كان قاصرا عن إيصال أول شعور، فإنه يبقى أحسن من أي ذاكرة.

وأخيرا وصل مرشدنا سفيان مقنين إلى مكانه المنشود اشبيلية بعد **ساعتين** من الزمن تمكن أخير الى الشقة التي استأجرها طوال إقامته في اشبيلية، ثم توجه الى المحلات التجارية لاقتناء بعض الحاجيات ثم أخذ قسط من الراحة.

1سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص94.

الأحد **17 سبتمبر 2017** توجه رحالتنا إلى "ساحة إسبانيا" التي كانت تضم مقاعد من "المرمر"، وكل مقعد فيها يرمز لأحداث تاريخية مخلدة في الذاكرة الإسبانية ليتجه بعدها "لقصر إشبيلية" دون أني ينسى أخذ الصور للذكرى له ثم توجه لحديقة "ماري لويز" التي تضمنت متحف الأندلس.

أدى رحالتنا صلاة الظهر في مسجد اشبيلية وأكمل جولته داخل "كاتدرائية إشبيلية" التي شدت انتباهه فيها لوحة قد أخيطت من ذهب عن حياة المسيح وقربها قبر "كريستوف كولومبوس"، ثم أكمل جولته حتى وصل الى مئذنة شامخة تعرف "بمنارة الخيرلدا"، بحيث رأى من على سطحها مدينة "إشبيلية"كاملة لينهي بها جولته لهذا اليوم، ويتوجه عائدا لشوارع "إشبيلية" مقررا شراء تذكرة للذهاب غدا إلى مدينة "**رندة**".

ولعل أكثر ما شد انتباه الروائي هو "إشبيلية"، التي تظهر فطنة الغرب لتخليد تاريخهم وتعريفه للأجيال القادمة، وذلك بنقش بعض الأحداث التاريخية في مقاعد المرمر.

اشبيلية وجه اسبانيا القديم... والجديد أيضا

Voyager est un triple plaisir : l'attente, l'éblouissement et le souvenir.

فالسفر يعلمك الانتظار والصبر، كما يجعلك مستمتع بكل خطوة في سعيك، ويتركك مع ذكريات تجعلك تكتسب خبرة وحب الحياة والمغامرة.

اقتنى "سفيان مقنين" تذكرة الذهاب إلى "رندة" غدا مقررا إكمال جولته الاستكشافية لمدينة "إشبيلية"، بعد الجلوس على ضفة نهر الوادي الكبير فترة من الزمن ثم توجه لفندق "ألفانسو" السادس ليحزم حقائبه في الصباح ويتوجه إلى وجهة أخرى.

"فإشبيلية" معلم تاريخي يزخر بعدة وقائع مخلدة في التاريخ الأندلسيين فمنها من يبرز لنا معاناتهم، وذلك راجع لتعدد الأديان والفرق، إضافة إلى غطرسة الغرب ومحاولتهم لدمج مخلفات العرب بثقافات غربية.

رندة...العلو والعمق.

A man does not belong to the place where he was born, but where he chooses to die.[1]

ويعني من خلال هاته العبارة مكان الشخص ليس مكان ميلاده، وإنما المكان الذي يختار الموت فيه فمكان ميلاده ليس له فيه رأي أما مكان الموت يختاره بنفسه.

الثلاثاء **19 سبتمبر 2017** توجه الرحالة إلى مطعم نزل الذي اضطر فيه إلى تحضير فطوره بنفسه بعدها ركب الحافلة وتمتع بالمناظر الطبيعية، وقد شد انتباهه وكثرة التماثيل لشخصيات مختلفة في أماكن مختلفة ووضعيات مختلفة، قضى مرشدون باقي نصف يومه في زيارة معالم مدينة رندة كحمامات المدينة وذلك قبل التوجه إلى "مالقا".

يرى "سفيان مقنين" بأن مكان الشخص ليس مكان ميلاده، إنما المكان الذي يختار الموت فيه، فمكانه الحقيقي ليس ذلك البلد الذي ولد فيه، إذ لم يكن له رأي في ذلك، وإنما هو المكان الذي أسر جوارحه واختار الموت فيه.

وداعا رندة... أهلا مالقة.

Chaque voyage est le rêve d'une nouvelle naissance.

فهذه العبارة تعني كل سفر هو حلم لميلاد جديد.

أثناء زيارة رحالتنا للحمامات العربية برندة بأنها المعالم الوحيدة تقريبا التي حافظت على شكلها وهندستها في "إسبانيا" ليذهب بعدها لرؤية المدينة القديمة التي تميزت بأسوارها وبواباتها ذات الشكل العربي.

كما زار "قصور الملك العربي" الذي هبط أسفل الأخدود الذي نزل إليه رحالتنا، وهبوطه تحت الجسر الجديد ومع بعض السياح الشباب، هاهو يودع رندة ويتوجه بعدها الى مدينة مالقا، لكن قبل ذلك توجه الى مطعم باكستاني لتناول وجبة العشاء.

متحف تحت سقف... وآخر تحت سماء.

Voyager, c'est gagner son procès contre l'habitude.

بعد مضي **ساعات** من التجوال في متحف التبغ والذي تحول إلى معرض السيارات في "مالقا"، قام فيها رحالتنا بالتجوال بين أنواع السيارات القديمة، وكذا معرض للملابس والأزياء القديمة، ثم توجه إلى الفندق لحزم حقائبه للتجوال في "مالقا".

1سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص116.

مالقة حسناء الأندلس

Quiconque voyage beaucoup, s'instruit.

انطلق الكاتب في جولة استكشافية بمدينة مالقة بمينائها، وقبل وصوله إلى هذا الأخير اتجه إلى أحد محلات العطور، واقتنى لنفسه زجاجة عطر، ليتوج لميناء، ويشاهد أنواع عديدة من السفن، ثم ذهب لتناول وجبة العشاء.

الخميس **21 سبتمبر 2017** بدأ "سفيان مقنين" جولته باكرا فزار "حصن القصبة المنيع"، والصعود لجبل الفارة، ثم للسوق المركزية لم يفوت رحالتنا الاستمتاع بأشعة الشمس والسردين المشوي، ليختم يومه بمشاهدة غروب الشمس في عرض البحر.

ساحل الشمس مكانا للعيش والتأمل.

Voyager, c'est partir à la découverte de l'autre et le premier inconnu à découvrir c'est vous.[1]

تعني هاته العبارة ان كان هدف السفر هو الانطلاق من أجل معرفة الآخر وثقافته، فإن أول مسعى تصل له هو اكتشاف ذاتك مقابل ذلك العالم الجديد.

الجمعة **22 سبتمبر 2017** جدد رحالتنا نحو مدينة "ميخاس" تلك القرية التي أسرت قلبه فأحبه هدوءها وتناسق ألوانها وأشكالها، فمشى في أزقتها التي غمرته بالراحة والحنين، وصعد قمتها –القرية– ما أتاح له فرصة إضافة هذه الصور الرائعة لدفتر ذكرياته.

أعجب الروائي بطبيعة الحياة في مدينة "ميخاس"، التي يعمها الهدوء، كما أسر جوارحه الأشكال الهندسية للبنيان وتفوقهم في التناسق بينهم، كما أشعره ذلك بالحنين لبلده.

العودة

Le voyage c'est aller de soi en passant par les autres.

دقت أجراس النهاية معلنة انتهاء رحلة كاتبنا ويصل لآخر يوم في مالقة.

السبت **23 سبتمبر 2017** قام رحالتنا بالتأكد من أغراضه وحزم أمتعته وتناول قهوته الصباحية، وشراء بعض التحف التذكارية، ليعود إلى نقطة البداية ألميرية محطة وصول ومحطة عودة إلى "وهران"، فتناول وجبة العشاء، والتوجه إلى ميناء مودعا "ألميرية"

1 سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص146.

و"إسبانيا" ككل، وما هي إلا ساعات حتى رست السفينة في ميناء وهران معلنة عودة "سفيان مقنين" إلى أرض الوطن.

فالروائي "سفيان مقنين" لم يكن الروائي الوحيد الذي انبهر بهذا البلد الغربي الذي يسخر بعوالم أندلسية، التي أثارت فضول الكتاب إلى جانب كاتبنا، ولعل من أبرزهم: رواية "**دليل الأندلس أو الأندلس كأنك تراها**"، "لسعيد أبو بكر" 1899م-1948م الذي زار "الجزائر" و"المغرب"، رغبة منه في لقاء الأدباء تعرف عليهم بالمراسلة.

ثم أتيحت له فرصة الرحلة للأندلس فزار «إشبيلية" و"قرطبة"، حيث قدم 35 صورة دقيقة وخريطة للأثار الإسلامية وقدمها إلى "طارق ابن زياد"، عبر فيه عن الحنين الجارف إلى الأندلس صاحب طفولته، تكفلت بنشر الكتاب بالمطبعة الأهلية، سنة 1939م»[1] .

ومن هنا نستخلص أن رحالتنا قد خرق المألوف، باعتباره يتقيد بما تقيد به الرحالة قبله، فهو لم يركز على الوصف الخارجي بقدر ما ركز على التذكير بوقائع تاريخية، التي تضمنتها "الأندلس" التي تعد مرجعا تاريخيا للعرب من حيث الديانة الإسلامية وهذا كان أكبر دافع لاختيار رحالتنا "لإسبانيا".

أ-دلالة المسارات الزمكانية:

دلالاتها:

فكل معلم من تلك المعالم الأثرية له حدث تاريخي جد مهم مما أدى "بسفيان مقنين" لإلزامية تعريفه للعرب ككل، وللجزائريين بصفة خاصة، وكان له دعوة صريحة في بداية روايته، كما أشار مسعودي في كتابه " مروج الذهب ومعادن الجوهر" لضرورة السفر «ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار عن اقليمه، كمن قسيم عمره على قطع الأقطار، ووزع أيامه بين تقاذف الأسفار»[2].

ومن هنا نستخلص أن القيم بالسفر يوفر لك متعة بصرية ومعلومات تاريخية، فمهما روى الكتاب ووصفوا المعالم الأثرية للأحداث الأندلسية لا تكون كما ترى عينك.

1سعيد أبو بكر، دليل الأندلس أو الأندلس كأنك تراها 1899م-1948م بنشر الكتاب، مطبع الأهلية سنة 1933، مقالة تم الاطلاع عليها يوم2020/08/08.

2المسعودي أبو الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، تقديم محمد السويدي، دار النشر، الجزائر 1989م، ط1، ص3.

ب- دلالة الزمان:

أما فيما يتعلق بدلالة الزمان فلقد كانت كل رحلاته من المرحلة الانطلاق إلى الوصول كلها معلومة، الهدف منها توثيق المعلومات، فكل أحداث الرحلة معلومة الهدف منها تسهيل لاستيعاب القارئ أحداث الرحلة.

ج- **أما دلالة العنوان "الفردوس المفقود والفردوس الموجود" فهنا يقصد:**

1- **الفردوس المفقود:**

الأندلس التي تعتبر ديوانا للحضارة التي بناها المسلمون، والتي امتدت لأكثر من ثماني عقود، وكأنها بنيت حديثا، وصارت حلم الملايين من السياح الذين يزورون إسبانيا حبا لمعرفة الحضارة الأندلسية القديمة والتي تعتبر هوية للمسلمين والعرب.

2- **الفردوس الموجود:**

فهي "الجزائر" وهذا حسب ما جاء به كاتبنا "سفيان مقنين" في آخر كلامه «بعد **عشر دقائق** كنت أمام باب منزلي وقد نزلت من السيارة وناولت صاحبها المبلغ الموجود، وكان ذلك آخر مشهد دونته حول رحلتي إلى ما يسمى بالفردوس المفقود قبل العودة إلى أجواء حياتي والعمل الروتيني في بلدي العزيز أو الفردوس الموجود»[1].

الجزائر بمثابة الفردوس من الناحية التاريخية والمعالم الأثرية، إلا أننا نهمل هاته المعالم، رغم غناها بالآثار، إلا أنها أهملت من الناحية السياحية من طرف أبنائها أولا، ومن الناحية العربية ثانيا.

وفي الأخير نستنتج أن الأندلس كان الفردوس المألوف لدى الكاتب، لكنه مفقود عند أغلب الناس، مما أدى به إلى دعوة صريحة في بداية رحلته للتعرف على هاته الجنة.

كما شد انتباهنا في مقولته الأخيرة إلى ضرورة السفر والتجوال من أجل اكتشاف ما خلفه لنا الأسلاف من معالم أثرية التي ذاع صيتها في البلدان الغربية أكثر منا نحن العرب، كما تطرق في ذكر الفروق في حياتنا اليومية، وكيفية المحافظة على الآثار وتحويلها إلى مداخل يومية لهم، ودعى العرب بطريقة غير مباشرة للاقتداء بالغرب في ذلك.

1سفيان مقنين، جزائري في الأندلس، ص161.

خاتمة

وفي ختام هذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي كانت عبارة عن حوصلة لما ورد في ثناياه والتي تمثلت في الآتي:

1. أدب الرحلة هو ذلك الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث خلال مسار رحلته، فبذلك يعد جنسا أدبيا يجمع بين المتعة والفائدة في آن واحد.
2. أدب الرحلة هو السلوك الملازم للإنسان منذ وجوده، إلا أنه تختلف دوافعه باختلاف الرحالة، والتي يمكن إرجاءها في المقام الأول إلى الرغبة في اكتشاف المجهول إضافة لدوافع دينية، سياسية، اقتصادية، تجارية، يعد بذلك سجلا حقيقيا بمختلف المعلومات.
3. تعد مكونات الخطاب الرحلي من أهم مرتكزات أدب الرحلة لما يحمل من خصائص فنية تجعل من الرحلة أدبا.
4. خطاب الرحلي هو تلفيظ لفعل الرحلة والذي يسعى لمواكبتها من البداية للنهاية من أجل ترتيب أحداث الرحلة.
5. يتميز الخطاب الرحلي بأسلوب سهل بعيد عن الزخرف اللفظي في قالب النثري.
6. تعد الرحلات من أهم المصادر التاريخية والجغرافية، إلا أنه تتراجع الآونة الأخيرة، وذلك لقلة اهتمام الدارسين والنقاد والكتاب له، رغم ما يزخر به من معلومات فكرية ومعرفية وجغرافية.
7. عمل الكتاب على إحياء تراث الأسلاف ولعل أبرزهم الكاتب الروائي "سفيان مقنين".
8. تعد رواية جزائري في الأندلس للروائي "سفيان مقنين" بمثابة دعوة صريحة للعرب من أجل تذكر الحضارة الإسلامية الموجود في الأراضي الغربية لإسبانيا والتي أصبح مرادفها الفردوس المفقود.
9. "اسبانيا" البلد الغربي الذي يتربع على التراث العربي الغني والمتنوع بثقافة الأسلاف، فهو يمثل هوية المسلمين، قد نقلها الروائي بصورة حية وحقيقية الغاية منها تحسيس العرب بضياع هاته الثقافات، وذلك لمحاولة الغرب طمس الهوية العربية ونسبها الى نفسه.

وبالتالي كانت نهاية النتائج أهم ما توصلنا إليها من خلال عملنا هذا المتواضع راجيا أن نكون قد وفقنا إلى حد ما في معالجة، وخير ما نختم به الكلام هو الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه ومن ولاه إلى يوم الدين.

يمكننا القول بأن أدب الرحلة هو عبارة عن مجموعة من الآثار الأدبية التي يصور فيها الرحال ما صادفه من أمور أثناء رحلته، فكانت كتب الرحلات من اهم وأوثق المصادر التاريخية، والجغرافية والاجتماعية، لأن الرحالة يستقي مختلف المعلومات من مشاهدات عينية، والتصوير المباشر، فكان أدب الرحلة فنا يجمع بين المتعة والفائدة، ولأن الرحالة ينقل من خلال رحلته كل ما سمعه ووقع على بصره، كان هذا الأدب سجلا حقيقيا لمختلف المعلومات، يستخدمه كل عالم حسب مجال عمله، لذلك تعددت تسمياته أدب جغرافي، استكشافي، اسفنجي...

أما خصائص كتاباته فمن الناحية الأسلوبية نجد أنه يتنوع أسلوبه من سرد قصصي، ووصفا دقيقا للمشاهدات المختلفة، بالإضافة الى تزويد رحلته بالعديد من الظواهر البلاغية كالسجع والطباق والجناس والمقابلة... بطريقة مسترسلة بعيدة عن التكلف وكل ذلك في قالب نثري .

كما يعد أدب الرحلات مصدرا هاما للدراسات وخصوصا بالنسبة للعرب، فما خلفوه من كتب شكلت أندر وأثرى المكتبات التي تحوي التسلية والمنفعة في آن واحد.

فهؤلاء الرحالة وإن ماتوا جسديا الا أنهم أحياء بمؤلفاتهم التي بقيت متداولة لغاية يومنا هذا.

كما سجل الروائي "سفيان مقنين" العديد من المعلومات التاريخية والثقافية التي حواها هذا المؤلف في مدونة تحت عنوان " جزائري في الأندلس"

بلغت رحلته عشرة أيام في "اسبانيا" والتي كانت منتشرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي والتي تضمنت روايته « تجارب في الأدب والرحلة » ، إذ نجده يقدم لمحة تاريخية عن هذه الحضارة الأثرية المنسية من طرف العالم العربي.

كان يأمل من رحلته هذه وصل ماضي المنطقة بحاضرها والاطلاع على من بقي فيها من آثار عريقة تشهد بأصالة "الأندلس"، والتي كانت موضوع حديث العديد من الرحالين، اذ نقل لنا الروائي "سفيان مقنين" العديد من العناصر الثقافية والدينية والفكرية، وذلك من خلال ما شاهده من مظاهر وعادات وتقاليد، ومعالم أثرية ميزت " الأندلس" عن غيرها فسبب اختياره لـ" اسبانيا" حديثا و"الأندلس" قديما لم يكن مجرد صدفة، بل لغاية توعوية وتحسيسية التي كان الهدف منها التعريف بحضارة الأسلاف.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أ-المصادر

1. المدونة لسفيان مقنين جزائري في الأندلس، دار النشر ردمك، (ط02)، 2019م.

ب- المراجع:

1. ابراهيم خوري، تمهيد لكتابة العلوم البحرية عند العرب، ط1، القاهرة، د.ت
2. ابن عمار أحمد، مدة الفن المسمى نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب مطبعة بيروت فونتانة الجزائر، الجزائر، 1902م.
3. أحمد ابن فارس (أحمد) مقايس اللغة، المجلد الثاني، دار الجيل بيروت، (د.ت).
4. جمال الدين ابن هاشم ابن منظور ، لسان العرب، دار الصادر، مج3،1994م.
5. حسين زكي الرحلة المسلمون في العصور الوسطى، دار المعارف، ط1، القاهرة 1945م.
6. حسين محمد فهيم، أدب الرحلات، عالم المعرفة رقم 138 المجلس الوطني الثقافي والفنون.، والأدب، الكويت 1989م.
7. حميدة عبد الرحمان، أعلام الجغرافيون العرب ومقتطفات من الاثار، دار الفكر، ط1،دب،1954م.
8. زيدان جورجي، فتح الأندلس هنداوي لتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، د ت.
9. سعد الله أبو قاسم، تاريخ الجزائر الثقافي(1500،1530)، دار الغرب الإسلامي، ط2 بيروت 1990م.
10. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، المكتبة الجامعية دار البيضاء 1984م.
11. شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي: التجنيس، آليات الكتابة، خطاب الرحلة، رؤية للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة 2006م.
12. شكري مخبوت، سيرة الغائب، سيرة الآتي، دار الجنوب، للنشر، ط1، د ب، 1979م.

13. شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، لفن القصصي للرحلات، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1956م.
14. صباح قباني، أساطير أوروبا عن الشرق، دار طالسا، ط1 دمشق سوريا 1988م.
15. صلاح الدين الشامي، الإسلام والفكر الجغرافي، الإسكندرية، ط1، (د.ب)، 1989م.
16. عبد الرحمان السواري، رحلة سندباد، وما جرى له فيها من حوادث عجيبة ومصادفات غريبة، دار الشروق، ط1، القاهرة 1971م.
17. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار، العربية للكتاب، ط2، القاهرة،2002م.
18. كمال بولعسل، سيمائية الفضاء في رحلة أبو حامد الغرناطي، السرد العربي القديم، ط1،(دب)،(د،ت).
19. محمد العبدري البلسني، الرحلة المغربية، منشورات البونة، ط1، الجزائر 2007م.
20. محمد عبده حتمالة، الأندلس التاريخ والحضارات والمحنة، قسم تاريخ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، عمان، (1420هـ،2000م) .
21. نازك سابايارد، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، مؤسسة نوفل، ط1، بيروت 1979م.
22. ناصر عبد الرزاق موافي، الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الربع الهجري)، كلية الآداب، ط1، القاهرة،1995م.

ج-المجالات الدوريات:

1-مجلة الفكر العربي، العدد 9 يونيو، معهد الأنماء العربي بيروت، لبنان 1988م.

المقالات:

1-مقالة النصر، أدب الرحلة همش في الجزائر، كراس الثقافة، العدد 2، نشر بتاريخ، 20 تموز 2015م، تاريخ الاطلاع 2020/02/17م.

2- مقالة مدونة الأطلال الخطاب الرحلة، كلية الآداب، جامعة الأزهر، تم الاطلاع عليها في 2020/02/02م.

د- الرسائل الجامعية

1-إسماعيل الزردومي، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم أطروحة دكتواره جامعة الحاج لخضر، قسم اللغة العربية وآدابها2015م.

2-شادي حكمت ناصر: ابن بطوطة وصناعة أدب الرحلة نسيج الواقع والخيال، رسالة ماجستير، كلية العلوم والآداب الأمريكية، بيروت، لبنان.

فهرس

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
-إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-ج
مدخل نظري: أدب الرحلة	
أولا: أدب الرحلة	05
ثانيا: مكونات الخطاب الرحلي	12
ثالثا: خصائص الكتابة الرحلية	13
الفصل الأول: مسارات أدب الرحلة	
أولا: أدب الرحلة في الأدب العالمي	18
ثانيا: أدب الرحلة في الأدب العربي	25
ثالثا: أدب الرحلة في الأدب الجزائري	34
الفصل الثاني: تشكيلات الرحلة في رواية جزائري في الأندلس قراءة في الفضاء والدلالات	
أولا: سيمائية العنوان	40
ثانيا: آليات السرد الرحلي	41
ثالثا: مكاشفات في مسارات عوالم الرحلة ودلالتها	44
خاتمة	58
ملخص	59
قائمة المصادر والمراجع	61
الفهرس	